

نَفْسُ الْفَزْلِ الْحَكِيمِ

٥

آيات الامكان بالآخرة

تأليف

عبد المنعم أحمد تقي الدين

الطبعة الاولى

١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن دعا بدعوته وسار على ملته الى يوم الدين .
اما بعد :

فبمعون من الله تعالى وفضل ، اتابع الجهد في تفسير القرآن الحكيم
واقدم الكتاب الخامس :

آيات الايمان بالآخرة

واسير فيه على المنهاج المرتضى - ان شاء الله - اورد الايات المتضمنة
حالا من احوال الآخرة متتابعة على نسق ترتيبها في المصحف الشريف ،
ثم أفسرها بالآيات الأخرى من كتاب الله ثم بما صح عن سيدنا رسول الله ،
ثم بما ثبت من اراء الصحب الكرام والائمة الاعلام ، ثم بما يفتح الله
تعالى به من فهم - نسأله سبحانه ان يبلغ به القصد ، وأن يجعله زيادة في
الهدى وتثبيتا على الرشد - وهكذا في سائر منازل الآخرة منذ فراق
الارواح للأجساد ، وحتى لقاء الله يوم التناد ، وإلى أن يحكم الله بين
العباد .

فاللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد .
اللهم آمين .

المؤلف

اقسام الكتاب



الباب الاول : البرزخ

الباب الثاني : القارعة

الفصل الاول : النشور	} الباب الثالث : القيامة
الفصل الثاني : الحشر	
الفصل الثالث : الحساب	
الفصل الرابع : الجزاء	

الخاتمة : الصراط والشفاعة

الكتاب الأول

البرذخ

ما تضمنه الباب الأول من آيات

رقم
الصحيفة

- ٧ من الآية ٦١ من [الأنعام] ومن الآية ١١ من [السجدة] ومن الآية ٩٣ من [الأنعام] .
- ٨ من الآية ٥٠ من [الأنفال] ومن الآية ٢٧ من [إبراهيم] .
- ٩ من الآية ٣٢ من [النحل] ومن الآية ١٠٠ من [المؤمنون] ومن الآيتين ٣٠ ، ٣١ من [فصلت] .
- ١٠ الآية ٢٦ من [الرحمن] والآيات من ١٦٩-١٧١ من [آل عمران] ومن الآية ٤٥ والآية ٤٦ من [غافر] .



من سورة الانعام

.. حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا

حين تحين اجالنا تتوفانا ملائكة موكلون بقبض الارواح .
يقول الطبري : فان قال قائل : اوليس قد قال الله : (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ٠٠) (١) ؟ قيل : جائز ان يكون الله تعالى اعان ملك الموت باعوان من عنده ، فيتولون ذلك بأمر ملك الموت ، فيكون التوفي مضافا - وان كان ذلك من اعوان ملك الموت - الى ملك الموت ، اذ كان فعلهم ما فعلوا من ذلك بأمره ، كما يضاف قتل من قتل اعوان السلطان ، وجلد من جلده بأمر السلطان الى السلطان ، وان لم يكن السلطان باشر ذلك بنفسه ، ولاوليه بيده ٠٠ اهـ .
ويقول النيسابوري : (٠٠ توفته رسلنا ٠٠) اي باذننا وتفويضنا ، فالتوفى بالحقيقة هو الله تعالى ٠٠ اهـ

وَهُمْ لَا يَفْرَطُونَ ﴿٦١﴾

بمعنى : وهم لا يضيعون ، ولا يتواتون ولا يقصرون .

.. وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ

وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ﴿٦٢﴾

لو عاينت حال الظالمين حين تفجأهم غمرات الموت وشدائده ومكارهه ، وعندما تعشاهم سكراته وكرباته ، لرايت ما يهول ، فالملائكة مبسطة أيديهم وممدودة بضرب هذا المحتضر يصيحون به أن أخرج روحك من جسدك ! ودون امهال ، تشديدا عليه في ازهاق روحه ، او خلص نفسك من العذاب ان أمكنك ! وهو جار مجرى التوبيخ .
يقول صاحب جامع البيان : (اخرجوا انفسكم) اي اخرجوها كرها ، لأن روح المؤمن تنشط للخروج للقاء ربها ، وروح الكافر تنتزع انتزاعا شديدا ١٠٠ اهـ

وفي هذا المعنى يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ٠٠ » (٢) .

١- سورة السجدة ٠ من الآية ١١ .

٢- رواه مسلم عن عبادة بن الصامت .

من سورة الانفال

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ
يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبُرَهُمْ ۖ

ولو تعاین یا محمد حال توفی الملائكة ارواح الكفار لرأيت أمرا
فظيحا هائلا ! تنتزع ارواحهم من جسامهم بضرب وجوههم والأستاه ، (١)
ولكن الله كريم يكتفي ، وتخصيص العضوين بالضرب لمزيد من الإهانة
والاذلال .

من سورة ابراهيم

يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَفِي الْآخِرَةِ ۚ

يوفق الله المؤمنين ، ويديم أمنهم وهدايتهم ، في الاولى والعقبى ،
بسبب ثباتهم على القول الحق : لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، فهم
في العاجلة لا يثنيهم عن الطريق القويم صارف ، ولا يفتنهم عن صراط
ربهم بغى ولا بلاء ، ولا تلهيهم الزخارف ، وفي البرزخ يصيبون ولا
يخطئون حين يسألون .

وانما يطلق على الحياة البرزخية [آخرة] باعتبارها لا تكليف فيها ،
وهي فاصل بين الحياة الدنيوية الزائلة ، وبين الحياة الباقية الخالدة .

في الصحيحين عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : « اذا أقعد المؤمن في قبره أتى ثم شهد أن لا اله الا الله ، وأن
محمدًا رسول الله ، فذلك قوله : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
في الحياة الدنيا وفي الآخرة) » .

١- مخرج الغائط [فتحة الشرح] .

من سورة النحل

الَّذِينَ نَتَوَقَّعُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ﴿٢٢﴾

يبشّر الله المتقين بطيب المآب ، وحسن الثواب ، وتنقيس الكربات ، وتهوين السكرات عند الممات ، وهكذا يتوقّى الله اهل التقوى وفاة طيبة سهلة ، لا صعوبة فيها ولا ألم .

من سورة المؤمنون

وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢٠﴾

من خلف الذين يموتون ، او بين ايديهم ومن امامهم فاصل بين الموت والبعث ، بقية الدنيا .

قال الجوهرى : البرزخ الحاجز بين الشيتين ، والبرزخ : ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت الى وقت البعث ، فمن مات فقد دخل في البرزخ .

ونقل القرطبي ما نصّه : وقال رجل بحضرة الشعبي : رحم الله فلانا ! صار من اهل الآخرة . فقال : لم يصّر من اهل الآخرة ، ولكنه صار من اهل البرزخ ، وليس من الدنيا ولا من الآخرة .

وأورد الطبري بسنده عن ابي يوسف قال : خرجت مع ابي امامة في جنازة ، فلما وضعت في لحدّها قال ابو امامة : هذا برزخ إلى يوم يبعثون .

من سورة فصلت

نُنَزِّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ أَلَّا تُخَافُوا وَلَا تُحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ ﴿٢٠﴾

تحضرهم طوائف من الملائكة يقولون : لا تخافوا ما تقدمون عليه بعد مماتكم ، ولا تحزنوا على ما تخلفونه وراءكم من اهل وولد ، فإنّا نخلفكم في ذلك كله .

نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴿٢١﴾

من جملة قول الملائكة الذين ينزلون على هؤلاء المؤمنين حالة اللحوق بربهم : نحن اولياؤكم ، نتولاكم بالحفظ في الاولى وفي العقبى ، كنا قرناءكم في الدنيا نسددكم ونوفقكم بأمر الله ، وكذلك نكون معكم في

الآخرة - في البرزخ واليوم الآخر - تؤنس منكم الوحشة في القبور ،
وعند النفخة في الصور ، وتؤمنكم يوم البعث والنشور ، ونجاوز بكم
الصراط ، ونوصلكم الى الجنات .

يقول النيسابوري : ٠٠ وإذا كانت هذه الولاية ثابتة في الدنيا بحكم
المناسبة النورية (١) كانت بعد الموت أقوى وأظهر ، لنزوال العلائق
الجسمانية .

من سورة الرحمن

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢١﴾

كل من على الارض من إنس وجن وخلق يدركه الموت لا محالة ،
والفناء الذي تخبر عنه الآية ليس يعني العدم المحض ، لا بالنسبة الى
الأبرار ، ولا بالنسبة الى الكفرة والفجار ، اذ بين القرآن الكريم أن
الشهداء في برزخهم لن يتركوا سدى ، ولن يذهبوا هباء ، إن همود
اجسامهم لا يتنافى مع ما حباهم ربهم من خواص الحياة البرزخية المكيّنة،
فيجري عليهم أرزاقهم ، ويسر خواطرهم ويصلح بالهم كما جاء في الآيات
المحكمات : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند
ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم
يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة
من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنين) (٢) .

والموتى من الكفار ، يحيون في برزخهم حياة بثينة اليمه ، يقول
الله جل علاه : (٠٠ وحاق بال فرعون سوء العذاب . النار يعرضون
عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون أشد العذاب) (٣)

كما جاء في الصحيحين عن أبي طلحة أن نبي الله صلى الله عليه
وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقتلوا في
طوي (٤) من أطواء بدر ، خبيث مخبث وكان إذا ظهر على قوم أقسام

١ - بين الملك وبين المؤمن رباط النورانية في كل منهما ، فنور الايمان في الآدمي
يربطه بالملك الذي هو نوراني .

٢ - سورة آل عمران الايات ١٦٩ الى ١٧١ .

٣ - سورة غافر . من الآية ٤٥ ، والاية ٤٦ .

٤ - طوي : بئر غير مبنية .

بالعرصة (١) ثلاث ليال . فلما كان بيدر اليوم الثالث أمر براحلته فشُدَّ عليها رحلها ، ثم مشى واتبعه أصحابه ، وقالوا : ما نرى ينطلق الا لبعض حاجته . حتى قام على شفة الركي (٢) فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : « يا فلان بن فلان ! ويا فلان بن فلان ! ايسركم انكم اطعم الله ورسوله ؟ فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ » قال : فقال عمر : يا رسول الله ! ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفس محمد بيده ! ما انتم بأسمع لما أقول منهم » كما أورد البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي أيوب رضي الله عنه قال : خرج (٣) النبي صلى الله عليه وسلم وقد وجبت (٤) الشمس ، فسمع صوتا ، فقال : « يهود (٥) تعذب في قبورها » . وعامة الموتى أحياء في قبورهم حياة برزخية . روى الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي (٦) إن كان من أهل الجنة فمن (٧) أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار (٨) ، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة » .

وامتن الله سبحانه على الإنس والجن بالموت حيث جاء بعد الآية التي تتعرض الآن لتفسيرها (فبأي الاء ريكما تكذبان) (٩) ربما لأنه نقله من دار البلاء ، ولأنه شفاء لما في الصدور بما يمضيه الله تبارك وتعالى من حكيم الجزاء .

١ - بأرض المعركة .

٢ - البئر الغير المبنية .

٣ - خرج الى ظاهر المدينة وخارجها .

٤ - وجبت الشمس : سقطت وغربت .

٥ - يهود : مبتدأ وخبره الجملة بعده ، او خبر والتقدير هؤلاء يهود يعذبون . ولم ينون للعلمية والتأنيث .

٦ - الغداة : من طلوع الشمس حتى تصير وسط السماء - رأى العين - والعشي : من الظهيرة الى الغروب .

٧ - التقدير : فالمعروض عليه من مقاعد أهل الجنة .

٨ - التقدير : وان كان من أهل النار فالمعروض عليه من مقاعد أهل النار ، وحذف جواب الشرط من الثاني لدلالة الاول عليه وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة » .

٩ - اي : بأي نعم ريكما يا معشر الانس والجن تكذبان ؟ أسلوب صورته استفهام ، ويراد به : أقرّا بنعم ريكما ولا تجحدا .

ما تضمنه الباب الأول من أحاديث

رقم
الصحيفة

أ - مما في الصحيحين

- | | |
|----|--|
| ٨ | حديث : اذا أقعد المؤمن في قبره . . . |
| ١٠ | حديث : أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا . . |
| ١١ | حديث : . . يهود تعذب في قبورها . |
| | حديث : إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده . . . |

الكتاب الثاني

القارة

ما تضمنه الباب الثاني من آيات وأحاديث

رقم الصحيفة	ما تضمنه الباب الثاني من آيات
١٥	من الآية ١٨٧ من [الأعراف] ومن الآية ١٨ من [الشورى] ومن الآية ٤٢ من [النازعات] ومن الآية ١٢ من [الذاريات] والآيتان ٤٣ ، ٤٤ من [النازعات] .
١٦	من الآية ٨٢ من [النمل] ومن الآية ٧٧ من [النحل] والآية ٥٠ من [القمر] ومن الآية ١٥٨ من [الأعراف] .
١٨	الآية ١٣ من [الحاقة] هـ من الآية ٦٨ من [الزمر] .
١٩	الآيتان ١٤ ، ١٥ من [الحاقة] والآيات من ٤ إلى ٦ من [الواقعة] والآية ٦ من [النازعات] والآية ٥ من [القارعة] ومن الآية ٣٠ من [الأنبياء] .
٢٠	الآية ١٦ من [الحاقة] والآية ٣٧ من [الرحمن] والآية ٨ من [المعارج] .

ما تضمنه الباب الثاني من أحاديث

رقم الصحيفة	أ - مما في الصحيحين :
١٥	حديث : ما المسئول عنها بأعلم من السائل . . .
١٦	حديث : . . . ولتقوم الساعة والرجل قد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها . هـ حديث : ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل . . .
١٧	حديث : إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات . . .
١٨	حديث : . . . ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى . . .
٢٠	حديث : من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء .
	ب - مما في غير الصحيحين :
١٧	حديث : ثم بينما الناس في أعظم المساجد . . . لم يرعهم إلا وهي ترغو . .

من سورة الاعراف

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا

يخاطب الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ويخبره بسؤال قومه له عن ساعة انتهاء الحياة على هذا الكوكب وما حوله من كواكب، ومتى تتوقف انماط هذا الوجود ونواميسه ؟ وأية لحظة تقع فيها تلك الداهية ؟

مما أورد ابن كثير : وكانوا يسألون عن وقت الساعة استبعادا لوقوعها ، وتكذيبا بمجيئها ، كما قال تعالى : (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ٠٠) (١) .

ومما نقل الحسن النيسابوري : ٠٠٠ سميت القيامة ساعة ٠٠ لأنها على طولها كساعة من الساعات عند الخلق ، و (أيان) استفهام عن الزمان، ويختص بالأمور العظام نحو : (أيان مرساها) (٢) و (٠٠ أيان يوم الدين) (٣) والمرسى بمعنى الارساء ٠٠ والرسو : الثبات والاستقرار ، ولعله لا يطلق الا على ما فيه ثقل ، ومنه : رسا الجبل ، وأرست السفينة اهـ

قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ

استأثر الله تعالى بعلم موعد قيام الساعة ، فلم يُظهر ولم يطلع أحدا على ميقاتها ، فلا خاتم النبیین ، عليه الصلوات والتسليم ، ولا مقدّم الملائكة المقربين - جبريل أمين وحي ربنا العليم - علما او علما موعدها. في الصحيح - حين جاء جبريل الى النبي في صورة آدمي - وسأله : يا محمد ! متى الساعة ؟ فقال : « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » .

وهكذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم ان يرد علم مجيء هذه القارعة وظهورها الى الله تعالى وحده ، كما خاطبه القرآن الكريم : (فيم أنت من نكراها ٠ الى ربك منتهاها) (٤) .

١ - سورة الشورى ٠ من الآية ١٨ .

٢ - سورة النازعات ٠ من الآية ٤٢ .

٣ - سورة الذاريات ٠ من الآية ١٢ .

٤ - سورة النازعات ٠ الايتان : ٤٣ ، ٤٤ .

فهو سبحانه وحده العليم بميقاتها ج

ثَقُلْتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ ﴿١٨٧﴾

خفى علم الحاقة على اهل السموات والارض فثقل امرها عليهم لعجزهم عن معرفة اوانها • ونبأنا العليم - جل علاه - انها لن تجيء الا فجأة ، تباغت الخلق وتأتيهم على حين غفلة منهم • يقول الله تبارك وتعالى : (١٨٧) وما امر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب (١٨٨) (وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر) (١٨٩) •

أورد الحافظ ابن كثير عن البخاري بسنده عن أبي هريرة حديثا جاء فيه : « ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقوم الساعة ، وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقوم الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه ، ولتقوم الساعة والرجل قد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها » •

من سورة النمل

وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ

عندما يحين الوقت الذي علم الله انه لن تفتح بعده قلوب للهدى والاسلام تجيء علامات الساعة ، ومنها ان تنشق الارض عن دابة ينطقها الله الذي انطق كل شيء بأمره وارادته - وتخبر الناس أن الجاحدين في شك من قدرة الله وصدق وعده ، وتردد في قبول آياته وعلامات لقائه ، فحققت كلمة ربنا : انه لن يؤمن الا من قد آمن ، وفي ذلك يقول القرآن الكريم (١٨٧) يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها (١٨٨) لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا (١٨٩) •

٢ - سورة القمر • الآية ٥٠ •

١ - سورة النحل • من الآية ٧٧ •

٣ - في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها (لم تكن آمنت من قبل او

كسبت في ايمانها خيرا) طلوع الشمس من مغربها والدجال ، ودابة الارض » •

٤ - سورة الاعراف • من الآية ١٥٨ •

أورد أبو جعفر محمد بن جرير الطبري بسنده - من ثلاث طرق -
عن ابن عمر رضي الله عنهما : خروج هذه الدابة حين لا يأمرن بالمعروف
ولا ينهون عن المنكر ، كما نقل عن ابن عطية (١) : اذا لم يعرفوا معروفا
ولم ينكروا منكرا ٠ ١٠٠ هـ .

ويقول الحسن النيسابوري : (واذا وقع القول) أي دنا وشارف أن
يحصل مؤداه ومفهومه (عليهم) وهو ما وعدوا به من قيام الساعة ،
والعذاب ٠ ١٠٠ هـ .

نقل الحافظ أبو عبد الله القرطبي (٢) كما نقل صاحب جامع البيان .
وصاحب تفسير القرآن العظيم عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال :
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة (٣) ٠

وقديما ذهب البعض الى أن هذه الدابة ربما تكون انسانا متكلميا
ينظر أهل البدع والكفر ٠ ورد عليهم أبو العباس القرطبي بما حاصله :
أن هذا يؤدي الى أن الدابة ليست آية خاصة خارقة للعادة ، وترتفع
خصوصية وجودها اذا وقع القول ، ثم فيه العدول عن تسمية هذا الانسان
المناظر الفاضل العالم الذي على أهل الأرض أن يسموه باسم الانسان أو
بالعالم أو بالامام الى أن يسمى بدابة ، وهذا خروج عن عادة الفصحاء
وعن تعظيم العلماء ، وليس ذلك دأب العقلاء ٠ ١٠٠ هـ .

أقول ، وفي ذلك صرف للقرآن الكريم عن ظاهره ، ومجافاة للحديث
الصحيح الصحيح الذي رواه الامام مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري
رضي الله عنه قال : أطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر
فقال : « ما تذاكرون ؟ » قالوا : نذكر الساعة ٠ قال : « انها لن تقوم حتى

١ - هو ابن عطية العوفي الراوي عن ابن عمر ٠

٢ - وأخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ٠

٣ - ومما جاء فيه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثم بينما الناس في اعظم
المساجد على الله حرمة خبرها وأكرمها على الله المسجد الحرام لم يرعهم الا
وهي ترغو بين الركن والمقام ، تنفض عن رأسها التراب ، فارفض الناس منها
شتى ومعا ، وثبتت عصابة من المؤمنين ، وعرفوا انهم لم يعجزوا الله ، فبدأت
بهم فجالت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الذي ، وولت في الأرض لا
يدركها طالب ، ولا ينجو منها هارب ، حتى ان الرجل ليتعوذ منها بالصلاة
فتأتيه من خلفه فتقول : يا فلان ! أين تصلي : فيقبل عليها فتسمه في وجهه
ثم تنطلق ويشترك الناس في الاموال ويصطلحون في الامصار يعرف المؤمن من
الكافر ، حتى ان المؤمن ليقول : يا كافر ! اقضني حقي ، وحتى ان الكافر ليقول :
يا مؤمن اقضني حقي » ٠ ١٠٠ هـ .

تروا قبلها عشر آيات [فذكر] : الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس من محشرهم .

تَكَلِّمُهُمُ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾

تخبرهم ان الكافر والفاجر يجادل في الحق بعدما تبين، ويرتاب فيما يصنع الله من دلائل عجيبة - منها خروج الدابة - وإنما جاء فيما حكاه القرآن (بآياتنا) اي بآيات ربنا فحذف المضاف . او سبب الاضافة اختصاصها بالله ، كما يقول بعض خاصّة الملك : خيلنا وبلادنا ، وإنما هي خيل مولاه وبلاده ، ولله المثل الأعلى .

من سورة الحاقة

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾

إذا جاء وعد الله الحق ، وانقضى أجل الدنيا ، وحانت ساعة تبديل الكون كله أمر الله الموكل بالصور ان ينفخ فيه ، فينفخ ، فيفنى كل شيء الا الله ، ويهلك كل حي الا الباقي سبحانه .
والصور : قرن من نور ينفخ فيه نفختان ، النفخة الاولى للفناء ، والثانية لإعادة الاحياء (١) .

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو : « ... ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه احد الا أصفى (٢) ليتا ، ورفع ليتا (٣) - قال - وأول من يسمعه رجل يلوط (٤) حوض ابله - قال - فيصعق (٥) ويصعق الناس ... » .

يقول القرطبي : والامم مجمعة على أن الذي ينفخ في الصور اسرافيل عليه السلام . اهـ .

١ - بدليل قول الله تبارك وتعالى : (... ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون) من الآية ٢٨ من سورة الزمر .

٢ - أمال . ٤ - يلوط حوض ابله : يعني يطليه بالطين .

٣ - ليتا : جانبا من صفحة عنقه . ٥ - يهلك ويموت .

لكنه نقل أقوالا أخرى : انه يكون معه جبريل ، أو يكون معهما ميكائيل ، أو ومعهم ملك الموت (١) .

وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ

الواو مجرد العطف لا تقتضي ترتيبا ولا تعقيبا ، فليس بلازم الا تدك الارض والجبال الا بعد النفخة .

(وحملت) ربما تكون بمعنى : رفعت من اماكنها ليطوح بها فتفتت وتتكسر ، ويشير الى ذلك قول الله جل علاه : (اذا رَجَّتِ الارض رجًا . وبست الجبال بسًا . فكانت هباء منبثًا) (٢) .

فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾

فحركتا من اماكنهما وزلزلتا اعظم زلزال حتى يستحيل الصخر الى هباء - وهو الشعاع الذي يكون في الكوة كالغبار - منبث منتشر متفرق ، وذلك هو الزلزال الاول عند خراب الدنيا (يوم ترجف الراجفة) (٣) .

ومما جاء في سورة القارعة : (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) (٤) كالصوف المنذوف المتطاير المتناثر ثم تستحيل الى سراب .

قال الفراء : لم يقل : فدككن ، لانه جعل الجبال كلها كالجملة الواحدة ، والارض كالجملة الواحدة ، ومثله : (٥٠ ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما) (٥٠) .

فِيَوْمٍ ذُو الْقَرَارَةِ ﴿١٥﴾

١ - وساق لكل قول حديثا للاستشهاد على أصالته ، لكن أيا منها لم يبلغ درجة الصحة ، ومسائل الاعتقاد لا يعول فيها الا على الصحيح .

٢ - سورة الواقعة : الآيات : ٤ ، ٥ ، ٦ . ٤ - الآية ٥ . ٣ - سورة النازعات : الآية ٦ . ٥ - سورة الانبياء : من الآية ٣٠ .

فهذا يوم الساعة ، وما أعسره ! يوم تكوّر الشمس ويرمى بها
وتتناثر النجوم متهاوتة متهاوية ، وتتشابك البحار وتختلط مشتعلة ، فما
داهية أشد على الناس من تلك الداهية ! ولهذا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء » (١) .

وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فِيهِ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةً ﴿١٦﴾

تتصدع السماء وتتمزق ، وتتداعى وتسقط ، وتتوهج وتنصر ،
كما شهدت بذلك الآية الكريمة : (فإذا انشقت السماء فكانت وردة
كالدهان) (٢) أي تصير في حمرة الورد وجريان الدهن . وفي سورة
المعارج : (يوم تكون السماء كالمهل) (٣) كدردي الزيت وعكره - في قول
ابن عباس - أو ما اذيب من الرصاص والنحاس والفضة - كما جاء عن
ابن مسعود .



١ - رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود .

٢ - سورة الرحمن . الآية ٣٧ .

٣ - الآية ٨ .

الكتاب الثالث

القيامة

الفصل الأول

النشور

ما تضمنه الفصل الأول من آيات

رقم
الصحيفة

- ٢٣ الآية ٥٢ من [الإسراء] ومن الآية ٢٧ من [الروم] والآية ٤٠ من [النحل] ومن الآية ٧٥ من [الزمر] ومن الآية ١١٢ من [المؤمنون] .
- ٢٤ من الآية ١١٣ من [المؤمنون] ومن الآية ٥٥ من [الروم] ومن الآية ٦٨ من [الزمر] ومن الآية ١٠٤ من [الأنبياء] ومن الآية ٥٢ من [الإسراء] ومن الآية ٤٣ من [المعارج] والآية ٥٠ من [القمر] والآيتان ٥١ ، ٥٣ من [يس] .
- ٢٥ من الآيتين ٧ ، ٨ من [القمر] والآية ١٩ من الصافات .

من سورة الاسراء

يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ

يوم النشأة الاخرى ، وإعادة الموتى احياء ، يدعى الخلق من قبل الخلاق العليم الذي انشأنا أول مرة ، فاذا اللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة والعظام النخرة تجتمع بقدرة الله التي لا يعجزها شيء (٠٠ وهو أهون عليه ٠٠) (١) (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) (٢) . ويهب الناس وقد أنشروا من قبورهم ، وبعثوا من مراقدهم ، يلَبّون دعوة الله الواحد القهار .

والاجابة : الطاعة . والاستجابة : المسارعة اليها .
نقل الحسن النيسابوري : ٠٠ والدعوة والاستجابة كلاهما مجاز ، والمعنى : يوم يبعثكم فتبعثون مطاوعين منقادين ٠٠ وقال سعيد بن جببر : يخرجون من قبورهم ، وينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون : سبحانك اللهم وبحمدك ٠٠٠ ومن هنا قال بعضهم : حمدوا حين لا ينفعهم الحمد ٠٠٠ (يريد الكفار ٣) .

كما نقل محمد بن أحمد الانصاري القرطبي : فيوم القيامة يوم يبدأ بالحمد ويختم به ، قال الله تعالى : (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده ٠٠) وقال في آخره : (٠٠ وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) (٤)

وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا

عن قتادة : تحاقرت الدنيا في أنفسهم حين عاينوا الآخرة .
وعن الحسن : معناه تقريب وقت البعث ، وكأنك بالدنيا لم تكن ، وبالاخرة لم تزل .

اقول : بين كتاب الله العزيز في اكثر من آية ان الكفار والفجار يتقألون مقامهم في الدنيا ومكثهم فيها وان مُتّعوا وأُتُرفوا . وحين ينادون في الآخرة : (٠٠ كم لبثتم في الارض عدد سنين ٥) يجيبون بما حكاه

١ - سورة الروم ٠ من الآية ٢٧ وأولها : (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) .

٢ - سورة النحل : الآية ٤٠

٣ - نقل صاحب الجامع لاحكام القرآن عن سعيد بن جببر تفرج الكفار من قبورهم وهم يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك ، ولكن لا ينفعهم اعتراف ذلك اليوم .

٤ - سورة الزمر ٠ من الآية ٧٥ . ٥ - سورة المؤمنون ٠ من الآية ١١٢ .

عنهم الذكر الحكيم : (قالوا لبثنا يوما او بعض يوم ٠٠) (١) بل يحلف اهل الشرور والفجور انهم ما عاشوا الا زمنا يسيرا : (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ٠٠) (٢) .
فاللهم آتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزننا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد .

من سورة يس

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسَلُونَ ﴿٥١﴾

يأمر الله تعالى من ينفخ في الصور ان ينفخ فيه ثانية بعد التي أماتت الخلق فاذا هم بقدرة الله تعالى قد ردت اليهم ارواحهم ، وتكاملت اجسادهم ، وبعثوا من قبورهم ، جاء ذلك في قول الله الحق جلت عظمتة : (٠٠ ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون) (٣) واكدته الآية الكريمة الثانية : (٠٠ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين) (٤) .
فاذا هم من القبور الى مليكهم ومربيهم ووليهم - المستحق للطاعة - يركضون ويعدون ، لا يملكون التأبى على امره - عز وتقدس - والى هذا يشير القرآن الكريم : (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده ٠٠) (٥) .
والفاء تفيد الترتيب والاتصال بين ما بعدها وما قبلها و (اذا) للمفاجأة .

وعلى هذا فالعنى ان النفخ يعقبه - بدون فاصل - ان تركب الابدان، وتعاد الارواح ، وتشقق القبور ، ويهرع الخلق الى ملاقات الحق تبارك وتعالى : (يوم يخرجون من الاجداث سراعا ٠٠) (٦) متجهين الى حيث يجمعهم الله : (ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون) (٧) (وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر) (٨) .

- | | |
|------------------------------------|----------------------------------|
| ١ - سورة المؤمنون ٠ من الآية ١١٣ ٠ | ٥ - سورة الاسراء ٠ من الآية ٥٢ ٠ |
| ٢ - سورة الروم ٠ من الآية ٥٥ ٠ | ٦ - سورة المعارج ٠ من الآية ٤٣ ٠ |
| ٣ - سورة الزمر ٠ من الآية ٦٨ ٠ | ٧ - سورة يس ٠ من الآية ٥٣ ٠ |
| ٤ - سورة الانبياء ٠ من الآية ١٠٤ ٠ | ٨ - سورة القمر ٠ من الآية ٥٠ ٠ |

والاجداث : جمع جدث ، وهو القبر • والنسل : العدو وسرعة
الشي • ومنه قول الله جل علاه : (•• يخرجون من الاجداث كأنهم جراد
منتشر. مهطعن الى الداع ••) (١) أي يخرجون من قبورهم منطلقين في
خفة وإسراع كانتشار الجراد في الآفاق ، مسرعين إلى إجابة الداعي
دون مخالفة أو تأخير : (فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون) (٢) •
والله حسبنا ونعم الوكيل •

١ - سورة القمر • من الايتين ٧ ، ٨ •

٢ - سورة الصافات • الآية ١٩ •

الفصل الثاني

الحشر

ما تضمنه الفصل الثاني من آيات وأحاديث

رقم الصحيفة	ما تضمنه الفصل الثاني من آيات
٢٩	الآية ٩ من [آل عمران]
٣٠	الآية ٨٥ من [مريم] ومن الآية ٩٤ من [الأنعام] ومن الآية ٢ من [الحج] .
٣١	الآية ١٠٣ من [الأنبياء] والآيتان ٣٠ ، ٣١ من [فصلت] ومن الآية ٢٧٥ من [البقرة] .
٣٢	الآيتان ٩٣ ، ٩٤ من [مريم] ومن الآية ٤٧ من [الكهف] .
٣٣	الآية ٩٥ من [مريم] والآية ١٨ من [النبأ] ومن الآية ٩٤ من [الأنعام] ومن الآية ٦٨ من [مريم] والآيات ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ من [الصافات] ومن الآيتين ٩٧ ، ٩٨ من [هود] ومن الآية ٧١ من [الإسراء] .

ما تضمنه الفصل الثاني من أحاديث

رقم الصحيفة	أ - مما في الصحيحين
٣٠	حديث : تحشرون حفاة عراة . . حديث : . . . وإن أول الخلائق يكسى . . إبراهيم . حديث : يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه .
٣١	حديث : . . ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم . حديث : . . يمشيه على وجهه يوم القيامة . حديث : يحشر الناس على ثلاث طرائق . .
٣٤ هـ	ب - مما في غير الصحيحين : حديث : يحشر عشرة أصناف من أمتي أشثاتا قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين وبذل صورهم . .

من سورة ال عمران

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ أَرَبِّ فِيهِ

السعداء العقلاء يُقَرَّون بيوم الجمع والتلاق ، ويقولون : يا ربنا إنك باعث الخلق وحاشرهم لشهود يوم ما أشد هولاه ! وهو آت لا شك في مجيئه • أو جامع الخلق في يوم واقع لا محالة •
يقول صاحب كتاب جامع البيان : •• وهذا من الكلام الذي استغنى بذكر ما ذكر منه عما ترك ذكره ، وذلك ان معنى الكلام : ربنا أنك جامع الناس ليوم القيامة ، فاعف لنا يومئذ واعف عنا فانك لا تخلف وعده أن من آمن بك واتبع رسولك ، وعمل بالذي أمرته به في كتابك أنك غافره (١) يومئذ •• فالآية وان كانت قد خرجت مخرج الخبر فإن تأويلها من القوم مسألة ودعاء •• اهـ •

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١﴾

قد تكون هذه الجملة من تنمة كلام أولى الالباب المؤمنين ، ولم يرد فيها ضمير المخاطب - جل علاه - كما في الجملة السابقة التي افتتحت بها الآية (أنك) على سبيل الالتفات - وهو عند علماء البلاغة : الانتقال من الغيبة الى الخطاب أو من الخطاب الى الغيبة •• وهكذا • ويكون المعنى : ان الالهية تنافى خلف الميعاد، وحاشا للاله الحق الا ينجز ما وعد •
وجائز ان يكون هذا الكلام تصديقا من الله تعالى لهم فيما قالوه •
نقل الحسن النيسابوري : واعلم انه لا يلزم من انه تعالى لا يخلف الوعد القطع بوعيد الفساق - كما ذهب المعتزلة - لان كل ما ورد في وعيد الفساق فهو عندنا مشروط بشرط عدم العفو ، كما انه بالاتفاق مشروط بشرط عدم التوبة بدليل منفصل • قال الواحدي : ولم لا يجوز ان يحمل هذا على ميعاد الاولياء دون وعيد الاعداء ؟ لان خلف الوعيد كرم عند العرب ، قال بعضهم :

إذا وعد السراء أنجز وعده

وان وعد الضراء فالعفو مانعه

وناصر أبو عمرو بن العلاء عمرو بن عبدي فقال : ما تقول في أصحاب الكبار ؟ فقال : ان الله وعد وعدا وأوعد ايعادا فهو منجز ايعاده كما هو

(١) - غافره : سآثره •

منجز وعده • فقال أبو عمرو : انك أعجم ، لا أقول : أعجم اللسان ، ولكن أعجم القلب ، لان العرب تعد الرجوع عن الوعد لؤما ، وعن الایعاد كرما ،
وانشد :

واني وان أوعدته او وعدته

للكذب ايعادي ومنجز موعدتي

وذلك ان الوعد حق عليه ، والوعيد حق له ، ومن اسقط حق نفسه فقد أتى بالجوّد والكرم ، ومن أسقط حق غيره فذلك هو اللؤم ، فهذا هو الفرق بين الوعد والوعيد ، على انا لا نسلم أن الوعيد ثابت جزما من غير شرط ، بل هو مشروط بعدم العفو فلا يلزم من تركه دخول الكذب في كلام الله تعالى • اه •

من سورة مريم

يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾

يوم الحاقة يساق المكلفون انسا وجنّا ، ويقوم الملائكة والروح صفّا ، والخلق يفزعون ولا يفوتون (•• وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) (١) ، تذهل كل مرضعة عما ارضعت ، وتبلو كل نفس ما اسلفت ، وتفقد كل ما كانت ملكت ، فلا مال ولا عيال ، ولا عصبّة ولا خلل ، وانما كما وصف ربنا ذو الجلال : (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ••) (٢) •

وفي الصحيحين - صحيحي البخاري ومسلم - عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تحشرون حفاة عراة غرلا » (٣) قالت عائشة : فقلت : يا رسول الله ! الرجال والنساء ينظر بعضهم الى بعض ؟ فقال : « الاخر أشد من ان يهتمم ذاك » •

كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قام فينا النبي يخطب فقال : « انكم محشورون حفاة عراة غرلا - (كما بدأنا أول خلق نعيده) الآية - وان أول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم •• » •
وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يوم يقوم الناس لرب العالمين ، حتى يغيب اقدمهم في رشحه الى انصاف أدنيه » •

١ - سورة الانعام • من الآية ٩٤

٢ - سورة الحج • من الآية ٢

٣ - غرلا : دون ختان •

ولهما عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين ذراعا ، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم » .

أما الذين أطاعوا الله وأحبوه وهابوه وراقبوه فإنه سبحانه سيحشرهم وفدا اليه ، آمنين لا يخافون ، ركبانا لا يمشون ، وهل يفزع الوافدون على الملك الكريم او يتركون يسرون ؟ لا ! بل يسكن الله روعهم ، ويعجل البشري لهم ، مصداقا لوعده الحق : (لا يحزنهم الفزع الاكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون) (١) وجند من جند الله المكرمين يصحبونهم ، ويرعون شأنهم بإذن ربهم : (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون) (٢) . وهكذا لن تتساوى أحوال المحشورين ، فلكل درجات مما عملوا ، تحقيقا لعدل احكم الحاكمين : (ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم (٣٠)) (٣) فأهل الزينج لا تعتدل لهم يوم الحشر قامة ، وانما كما بين القرآن (٠٠ لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس (٠٠)) (٤) ، والضالون لا ترتفع منهم يومئذ هامة : (٠٠ ومن يضل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما (٠٠)) (٥) .

روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان رجلا قال : يا نبي الله ! يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ قال : « ليس السذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة » ، قال قتادة [راوي الحديث عن انس] : بلى ! وعزة ربنا .

وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « يحشر الناس على ثلاث طرائق : راغبين راهبين (٦) . واثنان على بعير ، وثلاثة

-
- ١ - سورة الانبياء ٠ الآية ١٠٣ .
 - ٢ - سورة فصلت ٠ الايتان : ٣٠ ، ٣١ .
 - ٣ - سورة الجاثية ٠ من الآية ٢١
 - ٤ - سورة البقرة ٠ من الآية ٢٧٥ .
 - ٥ - سورة الاسراء ٠ من الآية ٩٧ .
 - ٦ - الفرقة المكرمة المقربة من رضوان الله في محشرها : هي التي اغتنمت فرصة حياتها فعملت لخيرها ، وأحسن لغيرها ، ووفت بعهدها ، رغبة في ثواب الآخرة ونعيمها ، راهبة فتنة الدنيا وشهواتها

على بعير ، وأربعة على بعير (١) . وتحشر بقيتهم النار (٢) ، تقيل معهم حيث قالوا (٣) ، وتبيت معهم حيث باتوا ، وتصبح معهم حيث أصبحوا ، وتمسي معهم حيث أمسوا ، (٤) .

إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾

ما من فرد من أفراد الملائكة - وهم سكان السماء - ولا واحد من الجن والانس - وهم المكلفون من سكان الارض - الا وهو معروض على ربه ، وموقوف بين يديه ، يجيء معترفا بالعبودية ، مقرا للرحمن بجلال الربوبية .

لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾

الله الخلاق العليم لا يضل ولا ينسى ، وقد أحصى جميع الخلائق ، فمحال أن يعزب أو يغيب أو يخفى عليه منهم أحد ، ولن يتخلف عن الجمع أو يفلت مفلت (٠٠ وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا) (٥) .

١ - الفرقة الثانية : ربما تكون هي الطائفة التي خلطت عملا صالحا وآخر سيئا . ويرى بعض علماء السنة أنهم الذين تقاعدوا حتى قل الظهر ، وضاق عن ان يسعهم لركوبهم فاشتركوا فركب اثنان منهم على بعير ، وثلاثة على بعير ٠٠ وعشرة على بعير .

٢ - ذهبت طائفة من شراح الحديث الى أن المعنى : نار فتن الدنيا حشرت بقية الناس فعجزوا عن تحصيل ما يركبونه - وهم الفرقة الثالثة - تصاحبهم في مقيلهم ومبيتهم ، وحيث يبيتون ، وحيث يصبحون ، وحيث يمسون . اهـ .
واقول : ويمكن ان تكون نار الاخرة التي وصفت بأنها ترمي بشرر كالقصر ، وصدق الله العظيم : (اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا) الآية ١٢ من سورة الفرقان . وتكون : « تقيل » و « تبيت » و « تصبح » و « تمسي » من قبيل المجاز ، والمعنى : انها تلازمهم وتبادرهم وتغشاهم بحرها وذلها منذ يبعثون وأينما يساقون ، (٠٠ وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) من الآية ٤٧ من سورة الحج .

٣ - قالوا : يعني قضوا وقت القيلولة ، ظهرا .

٤ - رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة . ٥ - سورة الكهف . من الآية ٤٧ .

وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

جميع الخلق سيصفون بين يدي الله ، ويقدمون ولا أحد ولا شيء معهم مما أوتوا في الدنيا من المال والجاه والعشير والنفير : (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ٠٠) (١) .

من سورة النبا

يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾

يوم النفخة الثانية - وحين يفزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله - يوجه الخلق الى حيث المحشر جماعات جماعات . وما ورد في القرآن الكريم مما يشعر بمجيئهم آحادا فرما يعني : انهم يتوافدون وليس معهم مال ولا رجال ، ومالهم من قوة ولا ناصر ، لا يمنعهم من الله مانع ، ولن يجيرهم منه مجير .

كل طائفة يتجمع أشنتاتها ، ويصحبها أولياؤها ، فأولياء الشياطين يحشرون معهم (فوريك لنحشرنهم والشياطين ٠٠) (٢) . والطفاة مقترنون وأعوانهم وأقرانهم . جاء في الذكر الحكيم : (احشروا الذين ظلموا - وأزواجهم وما كانوا يعبدون . من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم . وقفوهم انهم مسؤولون) (٣) وائمة الضلال هم واتباعهم يحشرون معا . (٠٠) وما أمر فرعون برشيد . يقدم قومه يوم القيامة ٠٠ (٤) .

والذين اتبعوا ما أنزل اليهم من ربهم ، واهتدوا بهدى نبيهم يحشرون مع رسولهم : (يوم ندعو كل أناس بإمامهم ٠٠) (٥) .

يقول ابو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي : (٠٠ فتأتون)

١ - سورة الانعام . من الآية ٩٤ .

٢ - سورة مريم . من الآية ٦٨ .

٣ - سورة الصافات . الايات من ٢٢ - ٢٤ .

٤ - سورة هود . من الايتين ٩٧ ، ٩٨ .

٥ - سورة الاسراء من الآية (٧) .

اي الى موضع العرض (افواجا) ١) اي أمما ، كل أمة مع امامهم ٠٠
ونصب يوما بدلا من اليوم الاول ٠

١ - روى الحافظ القرطبي عن معاذ بن جبل قال : قلت : يا رسول الله ! رأيت قول الله تعالى : (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا معاذ [بن جبل] ! لقد سألت عن أمر عظيم » ثم ارسل عينيه باكيا ثم قال : « يحشر عشرة أصناف من أمتي اشتاتا قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين وبدل صورهم : فمنهم على صورة القردة ، وبعضهم على صورة الخنازير ، وبعضهم منكسون : أرجلهم أعلاهم ، ووجوههم يسحبون عليها ، وبعضهم عمى يترددون ، وبعضهم صم بكم لا يعقلون ، وبعضهم يمضغون السننهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم لعابا يتقذرمهم أهل الجمع ، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم ، وبعضهم مصلبون على جذوع من النار ، وبعضهم اشد نتنا من الجيف ، وبعضهم ملبسون جلابيب سابغة من القطران لاصقة بجلودهم ٠ فاما الذين على صورة القردة فالقنات من الناس - يعني النمام - واما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت والحرام والمكس ، واما المنكسون رؤوسهم ووجوههم فأكلة الربا ، والعمى : من يجور في الحكم ، والصم البكم : الذين يعجبون بأعمالهم ، والذين يمضغون السننهم : فالعلماء والقصاص الذين يخالف قولهم فعلهم ، والمقطعة أيديهم وأرجلهم : فالذين يؤذون الجيران ، والمصلبون على جذوع النار : فالسعاة بالناس الى السلطان ، والذين هم أشد نتنا من الجيف : فالذين يتمتعون بالشهوات والملذات ويمنعون حق الله من أموالهم : والذين يلبسون الجلابيب فأهل الكبر والفخر والخيلاء » ٠

الفصل الثالث

الحساب

ما تضمنه الفصل الثالث من آيات وأحاديث

ما تضمنه الفصل الثالث من آيات

رقم
الصحيفة

- ٤٩ الآية ٧ من [الأعراف] ومن الآية ٥٢ من [طه] والآية
٢٥ من [النور] ومن الآية ١٨ من [غافر] والآيات
٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ من [الواقعة] والآيتان ٣٠ ، ٣١ من
[المرسلات] والآية ٧ من [الانشقاق] .
٥٠ الآية ١٠٣ من [الأنبياء] .
٥١ الآية ٨ من [الانشقاق] ومن الآية ٤ من [المعارج] ومن
الآية ٢٦ من [يونس] ومن الآية ٤٠ من [النساء] .

- ٣٧ الآية ١٠٩ من [المائدة] والآية ٦ من [الأعراف]
والآية ٤١ من [النساء] ومن الآية ٨٩ من [النحل]
والآية ٦٥ من [القصص] .
٣٨ الآيات من ٥ إلى ٩ من [نوح] ومن الآية ٥٧ من [هود]
ومن الآية ٧٩ من [الأعراف] ومن الآية ٩٣ من
[الأعراف] .

- ٣٩ الآيتان ١٣ ، ١٤ من [الإسراء] .
٤٠ الآيات ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ من [الحاقة] والآيتان ٢٥ ، ٢٦
من [الخاقة] والآيتان ١٠ ، ١١ من [الفرقان] ومن
الآية ٢٥ من [النحل] ومن الآية ١٨٠ من [آل عمران]
ومن الآية ٧١ والآية ٧٢ من [الإسراء] ومن الآية ١٦١
من [آل عمران] ومن الآية ١٣ من [العنكبوت] .
٤١ من الآية ١٣ من [العنكبوت] ومن الآية ٢٥ من [النحل]
٤٢ من الآية ١٣ من [العنكبوت] ومن الآية ٣٨ من
[الأعراف] والآيتان ٩٢ ، ٩٣ من [الحجر] .

- ٤٣ الآية ٣٩ من [الرحمن] ومن الآية ٧٨ من [القصص]
والآيتان ٣٥ ، ٣٦ من [المرسلات] ومن الآية ٨ من
[الأحزاب] ومن الآية ٢٣ من [الأنعام] والآية ١٨ من
[المجادلة] ومن الآية ١٠٥ من [هود] ومن الآية ٣٨
من [النبا] والآية ٦٥ من [يس] .
٤٤ الآية ٢٠ من [فصلت] والآية ٤٩ من [الكهف] .
٤٥ الآية ٢١ من [فصلت] والآية ١٢ من [الفرقان]
والآيات ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ من [الصافات] ومن الآية ٢٨
من [الجاثية] .

- ٤٦ من الآية ١٨ والآية ١٦ من [غافر] ومن الآية ٦٩ من
[الزمر] ومن الآية ٢٨ من [الجاثية] .
٤٧ من الآية ٢٨ والآية ٢٩ من [الجاثية] ومن الآية ١٢٣
والآية ١٢٤ من [النساء] ومن الآية ١٧ والآية ١٨ من
[ق] والآيات ١٠ ، ١١ ، ١٢ من [الانفطار] ومن
الآية ٤٩ من [الكهف] والآيتان ٦١ ، ٦٢ من [المؤمنون]
٤٨ الآية ٨٠ من [الزخرف] والآيات ١٣ ، ١٤ ، ١٥ من
[القيامة] والآيتان ٨ ، ٩ من [الأعراف] والآية ٤٠ من
[النساء] والآية ١٦ من [لقمان] ومن الآية ٤٧ من
[الأنبياء] .

ما تضمنه الفصل الثالث من أحاديث

رقم
الصحيفة

- ٣٨ أ - مما في الصحيحين :
٣٨ حديث : . . اللهم فاشهد . .
٤٠ حديث : من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته . .
٤١ حديث : . . ما من رجل تكون له إبل أو بقرة أو غنم
لا يؤدي حقها . .
٤٢ حديث : . . فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك .
حديث : أتدرون من المفلس ؟ . .
حديث : من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء
فليتحلله منه اليوم . .
٤٣ حديث : أتدرون مم أصحك ؟
٥٠ حديث : سبعة يظلهم الله في ظله . .
حديث : إن المسطين عند الله على منابر من نور . .
حديث : إني فرطكم على الحوض . .
حديث : إني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم .
٥١ حديث : . . كما تزداد الغريبة من الإبل عن الحوض .
٥٢ حديث : إن الله يبدئي المؤمن فيضع عليه كنفه . .
ب - مما في غير الصحيحين :
٤٢ هـ حديث : أيما داع دعا إلى ضلالة . .
٤٤ هـ حديث : . . عملت كذا وكذا في ليلة كذا فهذه
أخبارها .
حديث : . . وإن أول ما يعرب عن أحدكم فخذله .

من سورة المائدة

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ

(يوم) متعلق بفعل مقدر . أي احذروا يوم الحساب يوم يجمع الله الرسل ليشهدوا على من أرسلوا اليهم . أو التقدير : واتقوا يوم يجمع الله الرسل . فيكون عطفًا على (واتقوا) (١) في الآية التي سبقتها .

فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ

يتحقق موعود الله ، فيشهد كل نبي على أمته بماذا أجابت نبيها ، ومن منها صدق بالرسالة ، وأيهم عتًا عن أمر ربه ونبيه : (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) (٢) (ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء) (٣) .

قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾

فتقول الرسل : لا علم لنا الا علم أنت أعلم به منا ، ما عذب ولا غاب عن علمك شيء ، وعلمنا كان بظواهر أحوالهم ، وعلمك أحاط بما يبدون وما يكتُمون .

من سورة الاعراف

فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿١١٠﴾

كلمات ربنا صدق وعدل ، ولا مبدل لكلماته سبحانه ، ولا يد ان يسأل كل مكلف عن اتباعه لما جاء من وحي الله ورسالاته او إعراضه عنه وصدق الله العظيم : (ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتكم المرسلين) (٤) .

١ - وذلك قوله عز شأنه : (ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان

ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين)

٢ - سورة النساء . الآية ٤١ . ٣ - سورة النحل . من الآية ٨٩ .

٤ - سورة القصص . الآية ٦٥ .

ولا ريب ولا شك في سؤال من أرسلهم-وهو أعلم بهم - عن تبليغهم ما أرسلوا به .

وهكذا تؤكد الآية الكريمة باكد أسلوب - باللام الموطئة للقسم وبنون التوكيد الثقيلة المشددة - أن الله تعالى سائل المنذرين والمنذرين ، والمدعويين للدين الحق والداعين .

نقل الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما - والسدي ومجاهد ما حاصله : لنسألن الامم الذين أرسلت اليهم رسلى ماذا عملت فيما جاءتهم به الرسل من عندي من أمري ونهيي ؟ هل عملوا بما أمرتهم به وانتهوا عما نهيتهم عنه وأطاعوا أمري ؟ أم عصوني فخالفوا ذلك ؟ . ولنسألن الرسل الذين أرسلتهم الى الامم هل بلغتهم رسالاتي وأدت اليهم ما أمرتهم بأدائه اليهم ؟ أم قصروا في ذلك ففروا ولم يبلغوهم . اهـ .

أقول : ومن هنا تتجلى الحكمة في أن الرسل - صلوات الله عليهم أجمعين - كانوا أحرص ما يكونون على أداء امانات دعوة الله ، والاعذار في توفيتها حقها من البلاغ ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، فنوح عليه السلام يقول ما حكاه عنه القرآن الكريم : (٠٠ رب إنني دعوت قومي ليلا ونهارا . فلم يزداهم دعائي الا فرارا . واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا . ثم إنني دعوتهم جهارا . ثم اني اعلنت لهم وأسرت لهم إسرارا) (١) . وهود (صلوات الله عليه يقول : (فان تولوا فقد ابلغتكم ما أرسلت به اليكم) (٢)) وصالح - سلام الله عليه وعلى اخوانه المرسلين يقول : (٠٠ لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) (٣) . وشعيب يقول : (٠٠ لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين) (٤) . ومحمد خاتم النبيين - عليه من ربنا الصلوات والتسليم - يقف في حجة الوداع داعيا هاديا ، مبصرا مذكرا ، وعلى مسمع من جموع الحاجين الموحدين يقرر ويكرر في فقار خطبته انه قد بشر وحذر ، وانذر وأعذر ، « ٠٠ ألا هل بلغت » ؟ قالوا : نعم . قال « اللهم فاشهد ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب ٠٠ » ٥

١ - سورة نوح . الايات من ٥ - ٩ .

٢ - سورة هود . من الآية ٥٧ . ٣ - سورة الاعراف . من الآية ٧٩ .

٤ - سورة الاعراف . من الآية ٩٣ . ٥ - رواه البخاري .

من سورة الاسراء

وَكُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ

ربما يكون المعنى - والله اعلم - وكل آدمي وكل مكلف يُعرض علينا يوم التلاق وقد علقنا صحائف عمله في عنقه ، أو لزمته فهي كالقلادة في نحره لا تفارقه ، فان كان خيرا يزينه كان كالطوق ، وان كان شرا يشينه كان كالغل .

قال اكثر اهل اللغة : اطلاق الطائر على العمل تسمية للشيء باسم لازمه .

ونقل الطبري عن ابن عباس ومجاهد وقتادة : طائره : عمله .
وأورد القرطبي عن مقاتل والكلبي : خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به .

ويقول النيسابوري : عن الحسن : يا بن آدم ! بسطت الصحيفة ، وطويت في قبرك معك ، ثم اذا بُعثت قلدتها في عنقك .

وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾

ونبرز صحف الاعمال ويعطاها اصحابها مفتوحة غير مطوية ، تعجيلا لمسرة المتقين ، ومبادرة بمساءة المفسدين .

جاء في تفسير [الجامع لاحكام القرآن] عن ابي السوار العدوي : ٠٠ : هما نشرتان وطوية ، أما ما حييت يا بن آدم فصحيفتك المنشورة فأمل فيها ما شئت ، فاذا مت طويت ، حتى اذا بُعثت نشرت .

اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾

ينادي كل محشور أن اقرأ كتاب عملي الذي كنت تعمل في الدنيا من قول أو فعل أو نية وطوية ، وكان المكان الموكلان بك يكتبانه عليك ، استنسخناه واحصيناه [واليوم لا نبتغي عليك حاسباً غير نفسك ، ولا نطلب محصياً سواها] (١) .

ونقل قتادة : ٠٠ سيقراً يوم القيامة من لم يكن قارئاً في الدنيا . اه
أقول : وحتى لو لم يطالع ما كتبه الملائكة الحفظة الكتبة فانه يعاين ما كسب وما اقتترف : (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه

(١) - العبارة التي بين القوسين من تفسير [جامع البيان] بتصرف .

ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا (٥٠) . وقرائن الاحوال تغشى بالسنل والنكال ، او تنزاح بها الاهوال : (فأما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه . اني ظننت اني ملاق حسابه . فهو في عيشة راضية) (١) . (واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه . ولم ادر ما حسابه) (٢) .

ولكن القرآن الكريم يشير الى ان مواجهة الآثمين بحصيلة اوزارهم تشدق بها عليهم الحسرة (وأما من اوتي كتابه وراء ظهره . فسوف يدعو ثبورا) (٣) (ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا . يا ويلتا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا . لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا) (٤) . ومن علتة الندامة فأى مقروء يتحرك به لسانه ؟ ! ولا يستوي هو ومن سعى للسلامة . (. . . فأما من اوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا . ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا) (٥) .

من سورة العنكبوت

وَلِيَحْمِلْنَ أَثْقَاهُمْ

مع الصحائف المدونة ، المحصية لافعال كل مكلف وأقواله - وحتى أسرارها - يحمل ما اجترح ويفضح به على رؤوس الخلائق . والقمران العزيز يؤكد هذا في أكثر من آية (ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة) (٥٠) (٦) . (. . . سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) (٥٠) (٧) . (. . . ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة) (٥٠) (٨) .

روى البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من آتاه الله ما لا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا (٩) اقرع (١٠) له زبيبتان (١١) يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ

-
- ١ - سورة الحاقة . الايات : من ١٩ - ٢١ - ٢٠ - سورة الحاقة . الايات ٢٥ ، ٢٦ .
 - ٢ - سورة الانشقاق . الايتان : ١٠ ، ١١ . ٦ - سورة النحل . من الآية ٢٥ .
 - ٣ - سورة الفرقان . الايات من ٢٧ - ٣٠ . ٧ - سورة ال عمران . من الآية ١٨٠ .
 - ٤ - سورة الاسراء . من الآية ٧١ والآية ٧٢ . ٨ - سورة ال عمران . من الآية ١٦١ .
 - ٩ - الحية الذكر . او الثعبان الذي يقوم على ذنبه للوثوب .
 - ١٠ - الذي تمرط جلدة رأسه لكثرة سبه وطول عمره .
 - ١١ - نكتتان سوداوان فوق عينييه ، وهو أخبث الحيات .

بلهزمته (١) يقول : انا مالك انا كنزك - ثم تلا هذه الآية : (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطّوقون ما بخلوا به يوم القيامة) .

وفي الصحيحين عن ابي ذر رضي الله عنه قال : انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « والذي نفسي بيده » او « الذي لا اله غيره » او كما حلف « ما من رجل تكون له ابل او بقر أو غنم لا يؤدي حقها الا اتي بها يوم القيامة اعظم ما تكون واسمن ، تطؤه بأخفافها ، وتنطحه بقرونها ، كلما جازت أخرها ردت عليه اولها ، حتى يقضي بين الناس » .

وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قال : « لا ألفين (٢) أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بغير له رغاء (٣) يقول : يا رسول الله أغثنى فأقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا ألفين احدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حممة (٤) فيقول يا رسول الله اغثنى فأقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا ألفين احدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاه لها ثغاء (٥) يقول رسول الله أغثنى فأقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا ألفين احدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله اغثنى فأقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا ألفين احدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقا (٦) تخفق (٧) فيقول يا رسول الله اغثنى فأقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا ألفين احدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت (٨) فيقول يا رسول الله اغثنى فأقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك » .

وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ

يبرزون في الموقف وعلى ظهورهم وأكتافهم آثامهم وآثام من اغروهم بمتابعتهم ، ومن زينوا لهم قبيح فجورهم (. . . ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرّون) (٩) .

-
- (١) - بشدقيه .
 - (٢) - لا أجدن . نهى وتحذير .
 - (٣) - صوت الجمل .
 - (٤) - الثغاء : صياح الغنم .
 - (٥) - الرقا ، جمع رقعة وهي التي تكتب . وكأن المراد بها هو ما يكون عليها من الحقوق المكتوبة .
 - (٦) - تتحرك .
 - (٧) - الصامت : المال من الذهب والفضة . خلاف الناطق وهو الحيوان .
 - (٨) - سورة النحل . من الآية ٢٥ .
 - (٩) - سورة النحل . من الآية ٢٥ .

وما ظلمهم الله ، ولكن ظلموا أنفسهم ، بصيدهم عن الهدى ، وسعيهم بالفساد والإفساد (١) .

او يكون المعنى : سيجمل الظالم مع سيئاته سيئات من ظلم بعد ان تفرغ حسناته ، كما بين القرآن حوار الضالين والمضلين ! (٥٠) قالت أخراهم لا ولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فأتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون (٢) .

وسأل النبي صلى الله عليه وسلم يوما بعض أصحابه فقال : « أتدرون من المفلس » ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . قال : « المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، ويأتي قد شتم هذا وسب هذا وسفك دم هذا فأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته حتى اذا لم تبق له حسنات اخذ من سيئاتهم فطرح على سيئاته » . خرّجه مسلم عن ابي هريرة وخزّج البخاري عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كانت عنده مظلمة لاختيه من عرضه او شيء فليتحلله منه اليوم قبل الا يكون دينار ولا درهم ، ان كان له عمل صالح أخذ منه قدر مظلمته ، وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » .

وَلَيْسَ لَنَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾

اقسم الله تعالى انه سائل كل مكلف عما اجتراح واقتترف ، عما قال وعما فعل ، وعما ظهر منه وما بطن (٣) : (فوريك لنسألنهم أجمعين. عما كانوا يعملون) (٤) .
واما ما تضمنته الآية الكريمة : (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا

١ - أخرج ابن ماجة في سننه عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « ايما داع دعا الى ضلالة فاتبع فان له مثل اوزار من اتبعه ولا ينقص من اوزارهم شيئا ، وأيما داع دعا الى هدى فاتبع فان له مثل أجور من اتبعه ولا ينقص من أجورهم شيئا » . ٢ - سورة الاعراف . من الآية ٣٨ . ٣ - كثير من الامور الباطنة يسأل الناس عنها ويجزون بها ، اذ النفاق - اعادنا الله منه - اظهار لاقوال وافعال الاسلام مع ابطان الكفر ، وكذا كراهية ما امر ومن أمر الله ان نحبه ، وربنا - تبارك وتعالى - يجزي بالنيات حسننها وسيئها ، أما حديث النفس فאלله الكريم يتجاوز عنه بفضله .

٤ - سورة الحجر . الايتان : ٩٢ ، ٩٣ .

جان (١) وقول الحق جل علاه (٠٠ ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) (٢)
فانما ذلك في موطن اخر من مواطن يوم القيامة ، فموطن يسألون فيه عند
الحساب ، وموطن بعد لا يسألون فيه (هذا يوم لا ينطقون . ولا يؤذن لهم
فيعتذرون) (٣) .

والآية هنا تؤكد ان الله سبحانه سيسأل المضلين عن بهتانهم
وزورهم ، وعن اختلاقهم وضلالهم ، وعن بغيتهم وظلمهم .
وفي سورة أخرى يقول ربنا - عز شأنه - : (ليسال الصادقين عن
صدقهم ٠٠) (٤) .

وهكذا يسأل الله السعداء والاشقياء ، والابرار والفجار (٥) .
بل يبين القرآن العظيم ان الخاسرين حين يسألون يقسمون - كاذبين
- انهم ما اجرموا ولا ضلوا : (٠٠ قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) (٦) .
(يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على
شيء ألا انهم هم الكاذبون) (٧) .

من سورة يس

الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾

يوم يحلف الضلال عند السؤال كاذبين يخرس الله سنتهم ، وينطق
جوارحهم بأثامهم وأوزارهم : (يوم يأت لا تكلم نفس الا بأذنه ٠٠) (٨)
(٠٠ لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا) (٩) .
عن انس بن مالك رضي الله عنه قال : كنا عند النبي صلى الله عليه
وسلم فضحك حتى بدت نواجذه ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : « اتدرون
مم أضحك ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم » قال صلى الله عليه وسلم : « من
مجادلة العبد ربه يوم القيامة ، يقول : رب ! ألم تجرني من الظلم ؟ فيقول :

١ - سورة الرحمن ، الآية ٣٩ . ٢ - سورة القصص ٠ من الآية ٧٨ .

٣ - سورة المرسلات ٠ الايتان : ٣٥ ، ٣٦ . ٤ - سورة الاحزاب ٠ من الآية ٨ .

٥ - أورد صاحب الجامع لاحكام القرآن ما حاصله : سؤال الاشرار والكفار سؤال تقرير

وتوبيخ وإفصاح ، وسؤال الاخيار سؤال استشهاد بهم وإفصاح . اهـ .

٦ - سورة الانعام ٠ من الآية ٢٣ . ٧ - سورة المجادلة ٠ الآية ١٨ .

٨ - سورة هود ٠ من الآية ١٠٥ . ٩ - سورة النبأ ٠ من الآية ٣٨ .

بلى • فيقول : لا أجزى على إلا شاهدا من نفسي • فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك حسيا ، وبالكرام الكاتبين شهدا • فيختم على فيه (١) ، ويقال لأركانه (٢) انطق فتتلق بعمله ، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول : بعدا لكُنَّ وسحقا ! فعنكن كنت أناضل « (٣) •

من سورة فصلت

حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ
وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

حتى اذا ما وصلوا ساحة العرض وموقف الحساب ، ونسوا او تناسوا ما كان منهم من سيئات وأوزار اقام الله تعالى عليهم الحجة : (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا) (٤) وتنطق اذنه بما سمعت من فحش واذى ، وتنطق عينه بما امتدت اليه من آثام ، وينطق جلده بما باشر من حرام (٥) . وان عاد الضمير في (جاءوها) على النار - وليس على ساحة العرض وموقف الحساب كما قدمنا - فلا بعد ، ويكون المعنى - على هذا - حتى اذا ما طالعوا النار وعايروها واشرفوا عليها اشهد الله عليهم سمعهم

٢ - لاركانه : لجوارحه وأعضائه •

١ - فهمه •

٣ - رواه مسلم • وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل بعضا من اصحابه - وقد قرنت سورة الزلزلة وفيها (يومئذ تحدث اخبارها) - « اتدرون ما اخبارها » قالوا : الله ورسوله أعلم • قال : « فان أخبارها ان تحدث بما كان على ظهرها من عبد أو أمة ، تقول : عملت كذا وكذا في ليلة كذا فهذه أخبارها » (١) •

٤ - سورة الكهف • الآية ٤٩ •

٥ - روى الامام محمد بن جرير الطبري بسنده عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال - وأشار بيده الى الشام - قال : « ههنا ! الى ههنا تحشرون ركبانا ومشاة وعلى وجوهكم يوم القيامة ، على افواهكم القدام توفون سبعين أمة انتم اخرها واكرمها على الله ، وان اول ما يعرب عن احدكم فخذة » . القدام : رباط يشد على الفم . يعرب : يفصح ويبين ويحدث • وفي هذا عبرة وعظة لمن تنازعهم نفوسهم الى الشهوة الحرام •

وابصارهم وجلودهم فهي تلاحقهم من حين يبعثون : (اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا) (١) .
والقرآن الكريم يبين ان أهل الخسار الباغين يوجهون الى طريق جهنم ، لكن لا بد من وقفة للحساب : (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون . من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم . وقفوهم انهم مسئولون) (٢) .

وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾

عندما تشهد الجلود على اصحابها من الاشرار يقولون لجلودهم : لم شهدتهم علينا بما كنا نعمل في الدنيا ؟ فتجيب جلودهم : الله أنطقنا فشهدنا .

يقول المفسرون السلفيون : القادر على خلقكم وإنطاقكم في المرة الاولى في الدنيا ثم خلقكم وإنطاقكم مرة ، وثالثة ، في القبر وفي القيامة كيف يستبعد منه إنطاق الجلود ؟ ! - او الاسماع او الابصار - وفيه تنبيه الى ان المؤمن يجب عليه ان يكون في أوقات خلواته أهيب لربه ، وأوفر احتشاما ومراقبة .

من سورة الجاثية

وَرَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَآئِيَةً

حال من احوال يوم القيامة ، وهول من احوالها - نجانا الله من كربها - حين تشاهد كل طائفة وكل اهل ملة (٣) وقد تجمعت وجئت وبركت على ركبها خضعانا لله الملك المهيمن (٠٠) إذ القلوب لدى الحناجر

١ - سورة الفرقان . الآية ١٢ . ٢ - سورة الصافات . الايات من ٢٢ - ٢٤ .

٣ - بالسند المتصل ردى الحفاظ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كاني أراكم بالكوم جاثين دون جهنم » ، الكوم : المواضع الشرس .

كاظمين ٠٠) ١ (يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار) ٢ (.
والخطاب في (وترى) للنبي محمد صلى الله عليه وسلم . او لكل
من تتأتى منه الرؤية .

كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا

كل اهل دين يدعون الى ما كتبته عليهم الملائكة الحفظة مما كانوا
يعملون في الدنيا من خير وشر ، من قول او نية او فعل ٣ (.
والكتاب - على هذا - اسم يراد به الجمع . [كتب] . واضافته
مجازية ، والتقدير كل امة تدعى الى كتب ابنائها ، كل واحد منها يدعى
إلى كتابه . وإلى هذا يشير القرآن العظيم : (٠٠ ووضع الكتاب وجيء
بالنبيين والشهداء ٠٠) ٤ (.
وقيل : تدعى كل امة الى كتابها المنزل على رسولها ، لينظر هل

١ - سورة غافر . من الآية ١٨ . ٢ - سورة غافر . الآية ١٦ .

٣ - نقل صاحب جامع البيان في احكام القرآن عن قتادة قوله : كل امة تدعى الى
كتابها يعلمون انه ستدعى امة قبل امة . وقوم قبل قوم ، ورجل قبل رجل ؛ ذكر
لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « يمثل لكل امة يوم القيامة ما
كانت تعبد من حجر او وثن او خشبة او دابة ، ثم يقال . من كان يعبد شيئا
فليتبعه فتكون او تجعل تلك الاوثان قادة الى النار حتى تقذفهم فيها ، فتبقى امة
محمد صلى الله عليه وسلم ، واهل الكتاب . فيقال لليهود : ما كنتم تعبدون ؟
فيقولون : كنا نعبد الله وعزيرًا الا قليلا منهم ، فيقال لهم : اما عزير فليس منكم
ولستم منه ، فيؤخذ بهم ذات الشمال فينطلقون ولا يستطيعون مكوثا ، ثم
يدعى بالنصارى فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد الله والمسيح ،
الا قليلا منهم ، فيقال : اما عيسى فليس منكم ولستم منه ، فيؤخذ بهم ذات
الشمال فينطلقون ولا يستطيعون مكوثا ، وتبقى امة محمد صلى الله عليه وسلم
فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد الله وحده ، وانما فارقنا هؤلاء
في الدنيا مخافة يومنا هذا ! فيؤذن للمؤمنين في السجود فيسجد المؤمنون وبين
كل مؤمن منافق ، فيقسو ظهر المنافق عن السجود ، ويجعل الله سجد المؤمنين
عليه توبixa وصغارا ، وحسرة وندامة » . اهـ .

اقول : في كتاب الله اشارة الى هذا المعنى الاخير : (٠٠ ويدعون الى السجود
فلا يستطيعون . خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم
سامون) من الآية ٤٢ والاية ٤٣ من سورة القلم .

٤ - سورة الزمر . من الآية ٦٩ .

عملوا بما فيه ؟ • لكن سياق الآيات يشهد للرأي الاول ، بدليل القول الكريم في الآية التالية : (٥٠ انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) فهي إذاً مجموع الصحف التي كتبتها الملائكة الحفظة •

الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾

ينادون : اليوم يوم جزاء كل عامل بما كان يعمل في دنياه (٥٠ من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا • ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فالولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) (١) •

هَذَا كَتَبْنَا

كتابتنا هذا الذي وكلنا به المتلقين (٥٠ عن اليمين وعن الشمال قعيد • ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) (٢) وسطر بأمرنا الى ملائكتنا (وان عليكم لحافظين • كراما كاتبين • يعلمون ما تفعلون) (٣) • فهو كتابكم من حيث هو محص لاعمالكم ، وكتابتنا لانه كتب بأمرنا وبأيدي ملائكتنا •

يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ج

يشهد على ما كان منكم ، ويبين ، فهو من قبيل الاستعارة • وللمحسنين كتابهم ، ولللآثمين كتابهم ، يقول الله تبارك وتعالى - في حال الفاسقين : (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها) (٤) • ويقول عز شأنه - بعد ذكر اوصاف الموحدين المتقين : (اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون • ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون) (٥) •

إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾

كانت رسلنا من جند السماء تسجل ما تأتون دون زيادة او نقصان

١ - سورة النساء • من الآية ١٢٣ والاية ١٢٤ •

٢ - سورة ق • من الآية ١٧ والاية ١٨ • سورة الانفطار • الايات : من ١٠ - ١٢ •

٤ - سورة الكهف • من الآية ٤٩ • سورة المؤمنون • الايتان : ٦١ ، ٦٢ •

(٠٠) ورسلنا لديهم يكتبون (١) (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر. بل الانسان على نفسه بصيرة. ولو ألقى معاذيره (٢)) .

من سورة الانبياء (٣)

وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ

ينصب الله تعالى الميزان العدل لاهل يوم القيامة . وجمهور علماء الامة على انه ميزان كالذي يوزن به في الدنيا ، وانما جاء بلفظ الجمع (الموازين) ربما لتعدد الاعمال الموزونة فيه ، يقول الله - عز وتبارك : (والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون (٤)) . و (القسط) الحق الذي لا يخالطه جور ولا تخسير ولا تطفيف . نقل الامام ابو عبد الله القرطبي : والقسط صفة الموازين ، ووحد لانه مصدر ، يقال ، ميزان قسط ، وميزانان قسط ، وموازين قسط . اهـ .

فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا

لا تبخس نفس ولا يضيع من حقها شيء . فلا ينتقص من احسان محسن ولا يزداد على إساءة مسيء (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما (٥)) .

ق

وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا

ومهما كان العمل يسيرا ، واينما عمله صاحبه فان الله تعالى يضعه في ميزان عامله يجمعه له (يا بُني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير (٦)) .

١ - سورة الزخرف . من الآية ٨٠ . ٢ - سورة القيامة . الايات : من ١٣ - ١٥ .

٣ - الآيات التي تعرضت لتفسيرها من بداية الفصل الى هنا بينت السؤال والشهود ،

والان اتعرض لتفسير بعض آيات الميزان .

٤ - سورة الاعراف . الايتان : ٨ ، ٩ .

٥ - سورة النساء ، الآية ٤٠ . ٦ - سورة لقمان . الآية ١٦ .

وَكَفَىٰ بِنَا حُسَيْنٍ ﴿٤٧﴾

لا أحد أسرع منا حساباً ، ولا اخبر منا إحصاء (فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين) (١) (لا يضل ربي ولا ينسى) (٢) (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعملون ان الله هو الحق المبين) (٣) .

من سورة المرسلات

أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي تِلْثِ شُعْبٍ ﴿٣٠﴾

يوم يعرض الناس على ربنا الرحمن يشتد على الطاغين الكرب ويلتهب الحر ، ويلجمهم العرق ، ويضنيهم الظمأ ، حتى اذا تعاظمت الخطوب ، واوشكت ان تنخلع من الغم القلوب (٠٠ اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) (٥) عندها ينادون: انطلقوا الى ظل هو السنة لهب الجحيم - وقانا الله عذابها - يخالط اللهب دخانها ، فكأنه متشعب ، ويفرق الدخان عمد النار المتصاعدة .

لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾

فلا الدخان في ذاته مظل يرد اللهب والقيظ ، او يدوق من تفيه برداً ، ولا هو يحول بينهم وبين سفير النار ووجهها ! وانما كما بين الحق الكبير المتعال : (في سموم وحميم • وظل من يحوم • لا بارد ولا كريم) (٦) .

من سورة الانشقاق

فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ ﴿٧﴾

من اعطى صحائف اعماله التي سجلتها الملائكة ايام حياته وتكليفه،

- ١ - سورة الاعراف • الاية ٧ • ٢ - سورة طه • من الاية ٥٢ •
- ٣ - سورة النور • الاية ٢٥ • ٥ - سورة غافر • من الاية ١٨ •
- ٤ - الايات التالية تبين جانباً من أحوال الخلق حتى يحكم الله بين العباد •
- ٦ - سورة الواقعة • الايات : من ٤٢ - ٤٤ •

وكانت الحسنات فيها اكثر فتناولها بينماه يوم يجمع الله الاولين والآخرين ، فان المولى سبحانه يكرم نزله مع من بشرهم كتاب ربنا الرحمن : (لا يحزنهم الفزع الاكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون) (١) . ويكسى ويستمر مع الذين وعدهم النبي الصادق المصدوق محمد صلى الله عليه وسلم : « . . ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » رواه الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما . ويظله ربنا - تبارك وتعالى - ويقيه حر ذلك اليوم وشره ، وهكذا وعد الله الحسين كما اخبرنا خاتم النبيين عليه الصلوات والتسليم : « سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله : الامام العادل ، وشاب نشأ في عبادة ربه ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله ، اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال : اني اخاف الله ، ورجل تصدق اخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة .

ويجلس على منابر النور» ان المقسطين عند الله على منابر من نور.. الذين يعدلون في حكمهم واھليهم وما ولوا» رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو. ويردون على النبي محمد صلى الله عليه وسلم حوضه (٢) في الصحيحين عن سهل بن سعد قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اني فرطكم (٣) على الحوض من مر على شرب ، ومن شرب لم يظمأ ابدا ، ليردن على اقوام اعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم » .

وروايتهما عن ابي سعيد الخدري - بزيادة - « فأقول : انهم مني ، فيقال : انك لا تدري ما احدثوا بعدك ، فأقول : سحقا (٤) سحقا ! لمن غير بعدي » .

ورويا عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اني على الحوض حتى انظر من يرد على منكم ،

١ - سورة الانبياء ، الآية ١٠٣ .

٢ - نقل عن الامام النووي في شرح مسلم قال القاضي عياض رحمه الله تعالى:أما حديث الحوض صحيحة ، والايمان به فرض ، والتصديق به من الايمان ، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة ، لا يتأول ولا يختلف فيه ، وھدیتھ متواتر النقل ، رواه خلائق من الصحابة .

٣ - الفرط : الذي يتقدم الواردين فيھييء لهم ما يحتاجون اليه .

٤ - سحقا : بعدا ، دعاء علیھم بالبعد من رحمة الله .

وسيؤخذ ناس دوني (١) فأقول يا رب ! مني ومن امتي . فيقال : هل شعرت ما عملوا بعدك ، والله ما يرجعوا يرجعون على اعقابهم « فאלلهم انا نعوذ بك ان نرجع على اعقابنا ، او نفتن عن ديننا (٢) » .
ورواية البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « والذي نفسي بيده ! لا تؤدون (٣) رجالا عن حوضي كما تذاذ الغريبة من الابل عن الحوض » .

فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾

عقب الجمع والحشر والوقوف لتلقى الصحائف والسؤال والميزان يحكم الله بين العباد ، ويوم القيامة ليس باليوم القصير ، وصدق الله العظيم : (٥٠ في يوم كان مقداره خمسين الف سنة) (٤) .
والحساب اليسير : منه التجاوز عن السيئات ، وستر الخطيئات ، ومضاعفة الحسنات ، تفضلا من الله الكريم الوهاب : (للذين احسنوا الحسنى وزيادة ٥٠) (٥) وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما (٦) فحسنة بعشر ، وحسنة بسبعين ، وحسنة بسبعمئة ، وبأضعاف لا يعلم عددها الا الشكور جل علاه .

وفي الصحيحين عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم - كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه ، وان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من حوسب عذب » . قالت عائشة فقلت : اوليس يقول الله تعالى : (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) ؟ قالت . فقال : « إنما ذلك العرض ، ولكن من نوقش الحساب يهلك » .

ومن يُسر الحساب - كما قدمنا - التجاوز عن الخطايا ، وسترها وغفرانها . روى الامامان البخاري ومسلم في صحيحيهما عن صفوان بن محرز المازني قال : بينما انا امشي مع ابن عمر رضي الله عنهما ، أخذ بيده ، اذ عرض رجل فقال : كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

١ - دونى : قريبا مني .

٢ - يقول الحفاظ : هذه الدعوة : فאלلهم انا نعوذ بك . . . عن ابي مليكه روي هذا الحديث عن اسماء .

٣ - لا تؤدون : لا تمنعن ولا تدفعن واطردن . ٤ - سورة المعارج . من الآية ٤٠ .

٥ - سورة يونس . من الآية ٢٦ . ٦ - سورة النساء . من الآية ٤٠ .

في النجوى ١) ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
 « ان الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ٢) ويستره ، فيقول : اتعرف ذنب
 كذا ؟ اتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : نعم اي رب ا حتى اذا قرره ٣) بذنوبه
 ورأى في نفسه انه قد هلك ٤) . قال : سترتها ٥) عليك في الدنيا وانى
 اغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته ، واما الكافر والمنافقون فيقول
 الاشهاد ٦) (هؤلاء الدين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين) . »

-
- ١ - النجوى : المكالمة التي تكون بين الله تعالى وبين عبده يوم القيامة .
 - ٢ - كنفه: حماه وستره يحجبه عن الآخرين ستر له .
 - ٣ - قرره : ذكره بذنوبه فاعترف بارتكابها .
 - ٤ - هلك : استحق العذاب باقترافه تلك الخطايا .
 - ٥ - سترتها : اي سترت ذنوبك فلم أفضحك بها .
 - ٦ - الاشهاد : جمع شاهد او شهيد ، من الملائكة والنبیین وسائر الانس والجن .
- [هذا الهامش اقتبست بعضه من شرح اللؤلؤ والمرجان بتصرف] .

الفصل الرابع

الجزاء

ما تضمنه الفصل الرابع من آيات

رقم الصحيفة	
٥٥	الآية ٦٢ من [البقرة] .
٥٧	الآية ٨٥ من [آل عمران] ومن الآية ٨٠ من [البقرة] ومن الآية ٩٠ من [النمل] ومن الآية ٨١ من [البقرة]
٥٨	الآيتان ٨٢ ، ١٦١ من [البقرة] ومن الآية ٢٥ من [العنكبوت] ومن الآية ٣٨ من [الأعراف] .
٦٠	الآيتان ١٦٢ ، ٢٨١ من [البقرة] .
٦١	الآية ١٩٨ من [آل عمران] .
٦٢	من الآية ١٧٨ من [آل عمران] ومن الآية ١٤ من [النساء] .
٦٣	من الآية ٥٦ من [النساء] .
٦٤	الآية ٥٠ من [إبراهيم] ومن الآية ٥٧ من [النساء] .
٦٥	من الآية ٦٩ من [النساء] .
٦٦	من الآية ١٩ من [الحديد] ومن الآية ٤١ من [مريم]
٦٧	الآية ١٦٠ من [الأنعام] ومن الآية ٢٦١ من [البقرة]
٦٨	من الآية ٢٣ من [الرعد] ومن الآية ٢١ من [الإسراء]
٦٩	الآية ٨ من [غافر] ومن الآية ٢١ من [الطور] .
٧٠	من الآية ٢٤ من [الرعد] .
٧١	الآية ٣٩ من [مريم] .
٧٢	الآيتان ١٩ ، ٢٠ من [الحج] والآية ٤١ من [الأعراف] ومن الآية ١١٦ من [المائدة] ومن الآية ٢٩ من [الكهف] ومن الآية ٦٧ من [الصافات] ومن الآية ١٥ من [محمد] ..
٧٣	الآيتان ٢١ ، ٢٢ من [الحج] ومن الآية ٧١ من [الزمر] .
٧٤	الآية ٧٢ من [الزمر] ومن الآية ١٦٧ من [البقرة] والآيات ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ من [الأحزاب] والآيتان ٤٣ ، ٤٤ من [الحجر] ومن الآية ١٦ من [الزمر] والآيتان ٤٥ ، ٤٦ من [الدخان] .
٧٥	من الآية ٧٣ من [الزمر] والآية ٥٠ من [ص] ومن الآية ٧ من [الحاقة] ومن الآية ١٢٢ من [التوبة] ومن الآية ٢٢ من [الكهف] والآية ٥ من [التحريم]
٧٧	الآية ٤٩ ومن ٥٠ من [غافر] ومن الآية ١٢ من [الإسراء] .
٧٨	الآية ٧٠ ومن ٧١ من [الزخرف] ومن الآية ٢٠ من [الطور] ومن الآية ٢٠ من [الزمر] والآيتان ٣٤ ، ٣٥ من [فاطر] .
٧٩	الآية ٧٤ من [الزخرف] والآية ٥٦ ومن ٥٧ من [الدخان] والآية ٤٨ من [الحجر] ومن الآية ١٦٧ من [البقرة] ومن الآيتين ١٦ ، ١٧ من [إبراهيم] .
٨٠	الآيات ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ من [الزخرف] والآيتان ٧١ ، ٧٢ من [غافر] والآيتان ١٢ ، ١٣ من
	[الأعلى] ومن الآية ٣٧ من [فاطر] ومن الآية ١٧ من [سبأ] والآيات من ٣٣-٣٧ من [الحاقة] والآيتان ١٠ ، ١١ من [الملك] .
٨١	الآيات ١٠ ، ١١ ، ١٢ من [الواقعة] ومن ١٠٨ والآيتان ١٠٩ ، ١١٠ من [المؤمنون] والآيتان ٥٧ ، ٦١ . ومن الآية ١٧ من [السجدة] .
٨٢	الآيات من ١٣-١٦ من [الواقعة] ومن الآية ٢١ من [الإسراء] .
٨٣	الآيتان ١٧ ، ١٨ من [الواقعة] والآية ٧٦ ومن ٥٤ من [الرحمن] والآيات ١٣ ، ١٥ ، ١٦ من [الغاشية] والآية ٢٤ من [الطور] ومن الآية ١٧ من [السجدة] .
٨٤	الآيات من ١٩-٢٢ ، ٣٢ ، ٣٣ من [الواقعة] ومن الآية ١٥ من [محمد] والآية ٤٧ من [الصافات] ومن الآية ٢٥ من [البقرة] .
٨٥	الآية ٢٣ من [الواقعة] والآية ٥٨ من [الرحمن] .
٨٦	الآية ٦ من [التحريم] ومن الآية ١١ ١٦ من [المعارج] ومن الآية ٩٨ من [الأنبياء] والآية ٣٧ من [المائدة] .
٨٧	الآيات ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ من [المدثر] والآيات من ٥-٩ من [الهزلة] والآية ٩١ من [الشعراء] ومن الآية ١٢ من [الفرقان] .
٨٨	الآية ٣٠ من [المدثر] والآية ٣١ من [الأحقاف] والآيتان ١٤ ، ١٥ من [الجن] .
٨٩	من الآية ٣١ من [المدثر] والآية ١٣ ومن ١٤ من [الذاريات] والآيتان ١٧ ، ١٨ من [العلق] .
٩٠	من الآية ٤٤ من [فصلت] والآية ٨٢ من [الإسراء] ومن الآية ٣٥ من [الرعد] ومن ١٢٥ من [التوبة] ومن ٧ من [الفتح] .
٩١	الآيتان ٢٢ ، ٢٣ من [القيامة] والآيتان ٨ ، ٩ من [الغاشية] والآيتان ٣٤ ، ٣٥ من [فاطر] ومن ١١ من [الإنسان] ومن ٢٤ من [المطففين] .
٩٢	الآية ١٢ من [الإنسان] والآية ١٥٧ ومن ١٧٧ من [البقرة] والآية ١٥ من [المطففين] .
٩٣	الآيتان ١٣ ، ١٤ من [الإنسان] والآيتان ٣٢ ، ٣٣ من [الواقعة] ومن الآية ٥٤ من [الرحمن] .
٩٤	الآيات ١٥ ، ١٦ ، ١٧ من [الإنسان] .
٩٥	الآيات ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ من [الإنسان] .
٩٦	الآية ٢١ من [الإنسان] والآية ٢٣ من [الحج] والآية ٣٣ من [فاطر] .
٩٧	الآية ٢٢ من [الإنسان] ومن الآية ٤٣ من [الأعراف] والآية ٢٤ من [الحاقة] ومن الآية ٤٠ من [النساء] ومن الآية ٢٦ من [الشورى] .

من سورة البقرة

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَى وَالصَّبِيَّانَ مِنْ
ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

تؤكد الآية الكريمة ان المؤمنين المتبعين خاتم النبيين المصدقين برسالاته^(١) وكذا المنتسبين إلى اليهودية ، والمنتمين الى النصرانية، واصحاب الملة الصابئة ، من صدق من هؤلاء بالله ولقائه . وحسابه وجزائه ، وثبت على هذا اليقين ، واستكمل اركان الايمان التي جاءت بها الرسالة الخاتمة فامن مع ذلك بالملائكة والرسل والكتب ، وانفذ اوامر الشريعة الغراء واستقام على منهاجها فلم ثوابهم من عند مولاهم الرحيم بهم ، ولن يستقبلوا في كل احوالهم الاخرية ما يفزعهم ، ولن يغتموا على ما خلفوا او من خلفوا في الدنيا .

واليهود : هم الذين انتسبوا الى دين موسى صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه من التوراة (٢) .

والنصارى : هم أتباع عيسى عليه الصلاة والسلام ، واكثرهم - كما شهد كتاب الله الحق يزعمون تصديق المسيح عيسى والانجيل ، وعيسى صلى الله عليه وسلم والانجيل منهم براء (٣) .

١ - نقل بعض أئمة التفسير بالمأثور عن سفيان انه قال : الذين امنوا ، هم المنافقون ، لانهم اظهروا الايمان ٠٠ اه .

أقول : كتاب الله لا يطلق على هؤلاء وصف الايمان ، وانما يورده مقرونا بما يثبت مخادعتهم (٠٠ قالوا امنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ٠٠) سورة المائدة ٠ من الآية

٢ - قيل : سمو يهودا لانهم هادوا أي تابوا بعد ما سألوا موسى ان يريهم ربه .

٣ - وفي ذلك تأتي الآيات الكريمة : (ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ٠٠) سورة المائدة ٠ الآية ٨٠ ومن الآية (٨) فقليل منهم من يصح انتسابه الى الرسولين الكريمين موسى وعيسى - صلوات الله عليهما - والى الكتابيين الصادقين للدينين السماويين : اليهودية والنصرانية (٠٠ منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) سورة ال عمران ٠ من الآية (١١٠) ، والله سائل عيسى عليه السلام - عن افتراء هؤلاء وبهتانهم : (٠٠ أنت

والصائبة ليسوا من هؤلاء ولا من هؤلاء ، ولكنهم - كما حكى كثير من علماء الملل - يشهدون ان لا الله الا الله .
يقول اللغويون : الخوف : الذعر ولا يكون الا من امر مستقبل ، من شيء يخشى من وقوعه . والحزن : الغم - ضد السرور - ولا يكون الا على ماض .

ونقل عن صاحب تفسير غرائب القرآن توجيـهـه ثان لمعنى الآية :
٠٠ الذين آمنوا : هم المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة ، وهو عائد الى الماضي ، وكأنه قيل : ان الذين امنوا في الماضي ، واليهود والنصارى والصائبين كل من امن منهم وثبت على ذلك في المستقبل ٠ هـ .
ولصاحب كتاب [جامع البيان في تفسير القرآن] في تأويل هذه الآية مسالة جميلة : فإن قال لنا قائل : فأين تمام قوله (ان الذين امنوا والذين هادوا والصائبين) ؟ قيل : تمامه جملة قوله : (من امن بالله واليوم الآخر ٠٠) لان معناه : من امن منهم بالله واليوم الآخر ، فترك ذكر [منهم] لدلالة الكلام عليه ، استغناء بما ذكر عما ترك ذكره . فان قال : وما معنى هذا الكلام ؟ قيل : ان معناه : ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصائبين من يؤمن بالله واليوم الآخر فلهم اجرهم عند ربهم ، فان قال : وكيف يؤمن المؤمن ؟ قيل : ليس المعنى في المؤمن الذي ظننته من انتقال من دين الى دين كانتقال اليهودي والنصراني الى الايمان ، وإن كان قد قيل ان

= قلت للناس اتخذوني وامى الهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لي ان أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم ٠٠) . سورة المائدة . من الايتين ١١٦ ، ١١٧ .

١ - ومما اورد ابن جرير عن السدى : [نزلت في اصحاب سلمان الفارسي بينا هو هو يحدث النبي صلى الله عليه وسلم اذ ذكر اصحابه فأخبره خبرهم فقال : كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك ويشهدون انك ستبعث نبيا ، فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « يا سلمان ! هم من أهل النار » فاشتد ذلك على سلمان ، فأنزل الله هذه الآية : (ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصائبين من امن بالله واليوم الآخر ٠٠) [فكان ايمان اليهود انه من تمسك بالتوراة وسنة موسى حتى جاء عيسى ، فلما جاء عيسى كان من تمسك بالتوراة واخذ بسنة موسى فلم يدعها ولم يتبع عيسى كان هالكا ، وايمان النصراني انه من تمسك بالانجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمنا مقبولا منه ، حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم . فمن لم يتبع محمدا صلى الله عليه وسلم منهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى والانجيل كان هالكا .

الذين عنوا بذلك من كان من اهل الكتاب على إيمانه بعبسى وبما جاء به حتى أدرك محمدا صلى الله عليه وسلم فأمن به وصدقته ، فقليل لأولئك الذين كانوا مؤمنين بعبسى وبما جاء به اذ ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم : آمنوا بمحمد وبما جاء به ، ولكن معنى ايمان المؤمن في هذا الموضع : ثباته على ايمانه ، وتركه تبديله ، وأما ايمان اليهود والنصارى والصابئين : فالتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، فمن يؤمن منهم بمحمد وبما جاء به ، واليوم الآخر . ويعمل صالحا . فلم يبدل ولم يغير حتى توفي على ذلك فله ثواب عمله وأجره عند ربه . اهـ .

أقول : صح عن خاتم النبيين محمد عليه الصلوات من الله والتسليم : « لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي الا كان من اصحاب النار » (١) . والاية الكريمة جامعة مانعة قاطعة : (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) (٢) .

بلى

رد على ما ادعاه اليهود فيما حكته الاية السابقة (وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة (٣) فأبطل الله زعمهم هذا ، وكذب قولهم . والفرق بينها وبين [نعم] أنها اقرار في كل كلام اوله جحد ، فهي تبطل النفي ، اذ نفى النفي اثبات ، اما نعم فهي للاقرار في حالة الاستفهام الذي لم يتقدمه نفي .

مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً

من عمل وزرا ، وارتكب إثما ، وجمهور من المفسرين السلفيين على أن المراد بالسيئة هنا [الشرك] واستشهدوا بما جاء في التنزيل : (ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار (٤)) .

وَأَحْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ

طوّقته ولازمته حتى فارق الدنيا وهي تصاحبه ، ولم ينخلع منها بتوبة .

١ - رواه مسلم عن ابي هريرة بنحوه . ٢ - سورة ال عمران ١٠ الاية ٨٥ .

٣ - سورة البقرة ٠ من الاية ٨٠ . ٤ - سورة النمل ٠ من الاية ٩٠ .

فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾

الذين اشركوا وأُجرموا وماتوا وهم كافرون يدخلون النار ويبقون في عذابها إلى ما لا نهاية ، يصاحبون جهنم لا يفارقونها أبداً .

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وأهل الايمان والتصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه وحسابه وثوابه (١) ومع تصديقهم يعملون بشريعة الله ، ويحرصون على طاعته .

أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾

فهؤلاء يستحقون بفضل الله ثواب الجنة ونعيمها الابدى .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦٦﴾

يؤكد القرآن الحكيم ان الكافر الذي يموت على كفره ملعون - اذ الراوي وفي (وهم) للحال . واللجنة : الطرد من رحمة الله ، او الإبعاد من هدايته وتوفيقيه ، او الإبعاد من كل خير ، فمصير أهل الشرك والكفران الحرمان من الثواب والنعيم والسلامة في دار المآب ، والملائكة تنفذ امر ربنا فيحبسونهم في جهنم ، او الملائكة مع الناس في طلب اللعنة لهؤلاء . (والناس) اما ان يراد : كثير منهم وهم المؤمنون او ان الكل يلعنهم حتى الأخلاء والقرناء ، كما قال الله عز شأنه : (٠٠ ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضاً ٠٠) وفي آية كريمة اخرى : (٠٠ كلما دخلت امة لعنت اختها ٠٠) (٣) .

١ - الثواب : الجزاء ، اعم من يكون جزاء على حسنات او سيئات ، وان كثر استعماله في جزاء الحسنات ، وفي القرآن الكريم ورد في جزاء السيئات قول الله سبحانه : (قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ٠٠) سورة المائدة . من الآية ٦٠ .

٢ - سورة العنكبوت . من الآية ٢٥ . ٣ - سورة الاعراف . من الآية ٣٨ .

نقل الامام القرطبي عن ابن العربي : قال لي كثير من أشياخي : إن الكافر المعين لا يجوز لعنه ، لأن حاله عند الموافاة لا تعلم ، وقد شرط الله في هذه الآية في اطلاق اللعنة : الموافاة على الكفر ، وأما ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لعن أقواما بأعيانهم من الكفار فإنما كان ذلك لعلمه بمآلهم . قال ابن العربي : والصحيح عندي جواز لعنه لظاهر حاله ، ولجواز قتله وقتاله أما لعن الكفار جملة من غير تعيين فلا خلاف في ذلك وليس ذلك بواجب ولكنه مباح لمن فعله ، لجدهم الحق ، وعداوتهم للدين وأهله ، وكذلك كل من جاهر بالمعاصي كشرب الخمر ، وأكل الربا ، ومن تشبه من النساء بالرجال ، ومن الرجال بالنساء ، الى غير ذلك مما ورد في الاحاديث لعنه وذكر ان لعن العاصي المعين لا يجوز اتفاقا (١) . لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتى بشارب خمر مرارا ، فقال بعض من حضره : لعنه الله ، ما أكثر ما يؤتى به ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تكونوا عون الشيطان على أخيك » (٢) فجعل له حرمة الاخوة ، وهذا يوجب الشفقة وهذا حديث صحيح وأما لعن العاصي مطلقا فيجوز اجماعا (٣)

أقول : وكأن الامامين الجليلين القرطبي وابن العربي ذهبا الى ان اللعنة دنيوية ، مع ان الايات الكريمات تبين انها اخروية : (. . . كلما دخلت امة لعنت اختها . . .) (. . . ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضهم بعضا . . .) وكذا الآية التالية (٤) .

(١) - ذكر بعض العلماء خلافا في لعن العاصي المعين قال : وانما قال عليه السلام : « لا تكونوا عون الشيطان على أخيك » في حق نعيمان بن عمرو بن رفاعة ، شهد العقبة وبدرا والمشاهد بعدها ، وكان كثير المزاح ، يضحك النبي صلى الله عليه وسلم من مزاحه - كما جاء في اسد الغابة - وقال الرسول هذا بعد اقامة الحد عليه ، ومن أقيم عليه حد الله تعالى فلا ينبغي لعنه ، ومن لم يقم عليه الحد فللعنته جائزة سواء سمى وعين أم لا ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يلعن الا من تجب عليه اللعنة ما دام على تلك الحال الموجبة للعن ، فاذا تاب منها واقبل وطهره الحد فلا لعنة تتوجه عليه ، وبين هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « اذا زنت امة أحكمك فليجلدها الحد ولا يثرب » فدل هذا الحديث مع صحته على ان التثريب واللعن انما يكون قبل اخذ الحد وقبل التوبة ، والله تعالى اعلم .

٢ - خرج البخاري ومسلم .

٣ - استدل على ذلك بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده » .

٤ - اذ الضمير الوارد في الآية (فيها) عائد على اللعنة ، ودار الجزاء الخالد ليست دار الدنيا .

خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٦٦﴾

مَنْ حالهم كما وصفت الآية السابقة يخلدون ويمكثون مطرودين من رحمة الله ، مبعدين عن الثواب والتعظيم والخير ، والعذاب الذي يبقون فيه لا يفتر عنهم ولا ييسر ، وانما يظل اليما شديدا ، ولا يمهلون بل يبادر بهم اليه .



وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ

تَوَقَّؤا احوال يوم تردون فيه الى ملاقاته ربكم ، ليوفيكم جزاء اعمالكم ، ولا يكون التوقي من تلك الشدائد والكربات الا بهجر المعاصي ، وفعل الخيرات ، فالرجعة الى الله ، او الى ما أعد الله من ثواب وعقاب .

ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

عندها ينال كل عامل جزاء ما عمل من قول او فعل — بل وربما من ارادة — ويستوفي استحقاقه دون بخس ولا جور ، فربنا يقضي بالحق .

يقول الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبري : يعني بذلك جل ثناؤه : واحذروا ايها الناس يوما ترجعون فيه إلى الله فتلقونه فيه ان تردوا عليه بسيئات تهلككم او بمخزيات تخزيكم ، او بفضيحات تفضحكم ، فتهتك استاركم ، او بموبيقات توبقكم فتوجب لكم من عقاب الله ما لا قبل لكم به او انه يوم مجازاة الاعمال ، لا يوم استعتاب ، ولا يوم استقالة وتوبة وانابة ، ولكنه يوم جزاء وثواب ومحاسبة ، توفي فيه كل نفس اجراها على ما قدمت واكتسبت من سيء وصالح ، لا يغادر فيه صغيرة ولا كبيرة من خير وشر الا احضرت ، فتوفي جزاءها بالعدل من ربها (وهم لا يظلمون) كيف يظلم من جوزى بالاساءة مثلها ؟ كلا ! بل عدل عليك ايها المسيء ، وتكرم عليك فأفضل واسبغ ايها المحسن ، فاتقي امرؤ ربه فاخذ منه حذره ، وراقبه ان يهجم عليه يومه وهو من الاوزار ظهره ثقیل ، ومن صالحات الاعمال خفيف ، فانه عز وجل حذر فأعذر ووعظ فأبلغ ١٠هـ .

من سورة ال عمران

لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

اللهم جل علاه لا يسوي بين المؤمنين والكافرين في يوم الدين ،
فالكافرون لهم عذاب الحريق ، وأما الموحدون المهتدون فهم المكرمون
المنعمون ، ومأواهم الجنات النضرات ، والبساتين المبهجات، ذوات الانهار
الجاريات ، وهم في دار المقامة هذه باقون .

يقول صاحب [جامع البيان] . يعني بذلك جل ثناؤه . . . لكن
الذين اتقوا الله بطاعته واتباع مرضاته في العمل بما أمرهم ، واجتناب
مانهاهم عنه (لهم جنات) يعني بساتين . . باقين فيها ابدًا . . اهـ .

زُلَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

كل ما يناله المتقون من نعيم لا يقف عند المذات البدنية ، لكنه فوق
ذلك يتضمن السررات المعنوية ، ويحقق منازل السمو والرفعة التكرمية .
فان الذي منحوه ما هو الا عطاء من لدن الله العلي الاعلى .
والنزل : ما يهب للنزيل وهو الضيف . قال الشاعر :

نزول القوم اعظمهم حقوقا
فما ظنك بنزل اضياف الكريم الوهاب ؟ !

نقل صاحب تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان : . . والنزل ما
يعد للضيف ويعجل . ومن هنا تمسك بعض الاصحاب في الرؤية ، لانه لما
كانت الجنة بكليتها نزلا فلا بد من شيء آخر يكون اصلا بالنسبة اليها . اهـ .

وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْآبَرَارِ ﴿١٩٨﴾

هذه الخيرات التي اعدت للصالحين تقربهم من رضوان رب العالمين،
وتدخلهم في دار ثواب الملك الكريم ، وان الذي تضمن به مولانا البر
الرحيم لهو اخير الخير واعظم الاجر للذين احسنوا وبروا .
اورد الطبري بسنده عن أبي الدرداء انه كان يقول : ما من مؤمن
إلا والموت خير له ، وما من كافر الا والموت خير له ، ومن لم يصدقني فان
الله يقول : (وما عند الله خير للابرار) ويقول : (ولا يحسبن الذين كفروا

أُنَمَا نَمْلِي عَلَيْهِمْ خَيْرَ لَانْفُسَهُمْ إِنَّمَا نَمْلِي لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا (١) اهـ .
 وأورد النيسابوري ما نصه : وقيل : المعنى : وما عند الله من الكثير
 الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل اهـ .
 ونقل الحافظ ابن كثير بسنده عن عبد الله بن عمرو قال : انما
 سماهم الله الابرار لانهم بروا الاباء والابناء ، كما ان لوالديك عليك حقا ،
 كذلك لولدك عليك حق . اهـ .

من سورة النساء

وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ
 يَدْخُلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا

ومن يخالف امر الله تعالى وهدى نبيه ، او يقع فيما نهاه عنه ربه
 وحذره منه (الرسول ٢) ، ومن يتخط الفواصل التي جعلها الله فاصلة بينه
 وبين معصيته والخروج على ملته يَجْزِيهِ الله تعالى بايوائه في النار وابقائه
 فيها .

يقول الطبري : فان قال قائل : او يخلد في النار من عصى الله
 ورسوله في قسمة الموارث ؟ قيل : نعم ! اذا جمع الى معصيتهما في ذلك
 شكا في ان الله فرض عليه ما فرض على عبادته في هاتين الايتين او علم
 ذلك فحاد الله ورسوله في امرهما ، على ما ذكر ابن عباس من قول من
 قال حين نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الله تبارك وتعالى :
 (يوصيكم الله في اولادكم) الى تمام الايتين (٣) . أيورث من لا يركب

١ - سورة ال عمران . من الآية ١٧٨ .

٢ - روى الامام احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : « ان الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فاذا اوصى وحاف
 في وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار . وان الرجل ليعمل بعمل أهل الشر
 سبعين سنة فيفعل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة » قال : ثم
 يقول ابو هريرة : اقرءوا ان شئتم : (تلك حدود الله) الى قوله : (عذاب
 مهين . الايتان ١٣ ، ١٤ .

أقول : ولا يخلد في النار الا اذا استحل هذا الحرام ، او يكون المراد بالخلود
 لامثال هؤلاء العصاة : المكث الطويل .

٣ - ١١ ، ١٢ من سورة النساء . وكلتيهما في توريث الاصول والفروع والزواج
 والاقارب والارحام .

الفرس ولا يقاتل العدو ولا يجوز الغنيمة نصف المال او جميع المال ؟
استنكاراً منهم قسمة الله ما قسم لصغار ولد الميت ونسائه وإناث ولده ،
فمن خالف قسمة الله ما قسم من ميراث أهل الميراث بينهم كما استنكره
الذين ذكر امرهم ابن عباس ممن كان بين اظهر اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم من المنافقين الذين فيهم نزلت وفي أشكالهم هذه الآية فهو
من اهل الخلود في النار ، لانه باستنكاره حكم الله في تلك يصير بالله
كافرا ، ومن ملة الاسلام خارجا . اهـ .

وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

يناله في جهنم العذاب الذي يذله ويخزيه ، فيضيف الى اللظى الذي
ينزع جلده ألما نفسيا باهائته وتحقيره .
مما أورد الحسن النيسابوري : . . . ومما يؤكد كون الآية مخصوصة
بالكافر ان قوله : (ومن يعص الله ورسوله) تفيد كونه فاعلا للمعاصي ،
فلو كان المراد من قوله : (ويتعد حدوده) أيضا ذلك ، لزم التكرار ،
فوجب حمله على الكفر . وان سلم ان المراد هو التعدي في حدود الموارث
فلعل المراد من التعدي هو اعتقاد كونها لا على وجه الحكمة والصواب ،
ويلزم منه الكفر ؛ والله اعلم بمراده . اهـ .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَمَا نُصِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا

الذين يجحدون العلامات الدالة على وجودنا ، ووحدانيتنا واقتدارنا ،
ويكذبون بوحينا وكلماتنا ، ويفارقون الدنيا وهم كافرون بما جاءتهم به
رسلنا ، فوعيدنا لهم ما ينتظرهم من اللقاء بهم في لهب السعير ، يشويهم
فتحترق جلودهم ، فنعيد الجلود قوية بعد احتراقها .
وهنا مسألة : هل يجوز ان يبدلوا جلودا غير جلودهم التي كانت
لهم في الدنيا فيعذبوا فيها؟ فان جاز ذلك عندك فأجز ان يبدلوا اجساما
وارواها غير اجسامهم وارواهم التي كانت لهم في الدنيا فتعذب ، وان
أجزت ذلك لزمك ان يكون المعذبون في الآخرة بالنار غير الذين اوعدهم
الله العقاب على كفرهم به ومعصيتهم اياه ، وان يكون الكفار قد ارتفع
عنهم العذاب .

قيل : أعيدت جلودهم بعد احتراقها غير محترقة ، وذلك نظير قول

العرب للصائغ اذا استصاغته خاتما من خاتم مصوغ بتحويله عن صياغته التي هو بها الى صياغة اخرى : صنع لي من هذا الخاتم خاتما غيرهُ فيكسره ، ويصوغ له منه خاتما غيره ، والخاتم المصوغ بالصياغة الثانية هو الاول ، ولكنه لما اعيد بعد كسره خاتما قيل : هو غيره ، فكذلك معنى قوله سبحانه : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) لما احترقت الجلود ثم اعيدت جديدة بعد الاحتراق قيل : هي غيرها على هذا المعنى . وقال اخرون : معنى ذلك : كلما نضجت سراييلهم بدلناهم سراييل من قطران غيرها فجعلت السراييل القطران لهم جلودا كما يقال للشيء الخاص بالانسان : هو جلدة ما بين عينيه ووجهه ، لخصوصه به ، قالوا فكذلك سراييل القطران التي قال الله في كتابه : (سراييلهم من قطران وتغشى وجوههم النار) (١) لما صارت لهم لباسا لا تفارق اجسامهم جعلت لهم جلودا ، فقيل : كلما اشتعل القطران في اجسامهم واحترق بدلوا سراييل من قطران آخر (٢) .

لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ

انما نفعل ذلك بهم فنرد اليهم جلودهم المحترقة ليدوم ألمهم ، وتخالط النار أبشارهم وسائر ابدانهم ، وتغتم نفوسهم وتكترب مما يقع بهم .

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾

تثبتوا واستيقنوا ايها الناس ان الله - جل شأنه - كان وما يزال قويا لا يغلب ، عزيزا في انتقامه ممن ينتقم منه من خلقه ، لا يمتنع منه احد قضى ان يعذب ، ولا يجبره من الله المهيمن مجبر ولا ينصره ناصر ، وربنا تبارك وتعالى لم يزل حكيما كامل الحكمة والتدبير ، ومن حكمته إبعاد العباد .

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا

والذين صدقوا بما جاء به رسولنا واستقاموا على شرعنا ، فأدّوا

١ - سورة ابراهيم . الاية ٥٠ .

٢ - من اول [وهنا مسألة] الى كلمة [اخر] اقتبسته من [جامع البيان] بتصرف .

ما أمرنا به واجتنبوا ما نهينا عنه سندخلهم يوم الفصل يوم الحساب بساتين تجري من تحت اشجارها الانهار ، ونبقيهم في مساكن النعيم هذه بقاء أبديا لا ينتهي .

لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ط

لهؤلاء المكرمين في تلك الجنات والحدائق والمساكن الطيبة ازواج طاهرات ، نساء مصونات عن الادناس والاقذار التي تكون في نساء اهل الدنيا ، وأُخِرَ انشاءهن الله انشاء ، حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون .

وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾

ونبوئهم ونحلهم من الجنة منازل وحدائق ظليلة اشجارها وقصورها .
مما اورد النيسابوري : والمراد بالظل الظليل ما كان فينا اى منبسطا لا جوب (١) فيه لالتفاف الاغصان ، ودائما لا تنسخه الشمس ، وسجساجا لا حرقه ولا برد . اهـ .
ونقل القرطبي عن الحسن : وصف بأنه ظليل لانه لا يدخله ما يدخل ظل الدنيا من الحر والسموم ونحو ذلك .

★ ★ ★

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

اهل طاعتنا ندخلهم جنتنا ، ينعمون بملذات الابدان ، ومباهج الارواح ، فهم في معية الذين رضينا عنهم ، واعلينا اقدارهم ، ورفعنا درجاتهم .

يقول صاحب [الجامع لاحكام القرآن ١٠٠] : وفي طاعة الله طاعة رسوله ، لكنه ذكره تشريفا لقدره ، وتنويها باسمه صلى الله عليه وسلم . اهـ

مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ

(١) - جوب : جمع جوبة وهي الفتحة والفرجة . يعني ان الظل لا تتخله فتحات تفرقه ، بل هو متضام متلاحم .

المطيعون لنا ولخاتم انبيائنا ، وكذا الذين استجابوا لدعوة من سلف من رسلنا يتجاوزون ويتجاوزون مع الأنبياء والصديقين ، والقنلى فى سبيل الله ، والمستقيمين على طريق رضوان الله .

جاء فى تفسير : غرائب القرآن ٠٠ : وليس المراد من كون المطيعين مع المذكورين فى الآية ان كلهم فى درجة واحدة ، فان ذلك يقتضى التسوية بين الفاضل والمفضول وانه محال ، ولكن المراد كونهم فى الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وان بعد المكان (١) لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا ، او اذا ارادوا الزيارة والتلاقي قدروا على ذلك ، والتحقيق فيه : ان عالم الانوار لا تمنع فيها ولا تدافع بل ينعكس بعضها على بعض ، ويتقوى بعضها ببعض كالمرايا المجلوة المتقابلة ٠٠٠ وذكر المفسرون اكثرهم ان الصديقين فى الآية : كل من صدق بكل الدين لا يتخالجه فيه شك لقوله تعالى : (والذين امنوا بالله ورسوله اولئك هم الصديقون ٠٠) (٢) . وقال قوم : هم افاضل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ٠٠ ولا واسطة بين الصديق والنبي ، ولذلك قال فى هذه الآية : (من النبيين والصديقين) وفى صفة ابراهيم : (٠٠ انه كان صديقا نبيا) (٣) ٠٠ واما الشهداء فالمراد بهم ههنا اعم من المقتولين بسيف الكفار من المسلمين (٤) ٠٠ قيل : هو الذى يشهد لصحة دين الله ، تارة بالحجة والبيان ، واخرى بالسيف والسنان ٠٠ واما الصالحون فالصالح الذى صلح فى اعتقاده وفى عمله ، وهذه مرتبة لا ينبغي ان تنحط عنها مرتبة المؤمن .

وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾

ما احسن اولئك الرفقاء ، اذ الرفيق مما يستوي فيه الواحد

١ - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « ان احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيامة احاسنكم اخلاقا المواطنين الذين يألّفون ويؤلّفون ٠٠ » ، فهذا مما يستشهد به على ان المعية لا تمنع القرب المكاني مع تفاوت فى الدرجات .

٢ - سورة الحديد ٠ من الآية ١٩ .

٣ - سورة مريم ٠ من الآية ٤١ .

٤ - عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تعدون الشهيد فيكم ؟ قالوا : يا رسول الله ! من قتل فى سبيل الله ٠ قال : « ان شهداء امتي اذا لقليل ، من قتل فى سبيل الله فهو شهيد » ومن مات فى الطاعون فهو شهيد ، ومن مات بالبطن فهو شهيد » وفى رواية : « ومن مات بجمع فهو شهيد » وجمع : المزدلفة .

والجمع ، ونصبه على الحال او التمييز ، وسمي الصاحب رفيقا لما يكون من لين الجانب ولطافة المعاشرة ، وذلك يحقق خلق الرفق ، ويُرتفق ويُتعان بمثله .

من سورة الانعام

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ امْتَالِهَا

من يلق ربه يوم القيامة وقد عمل صالحا في دنياه فان ربنا الشكور يجزيه على كل حسنة بثواب يعدل عشرة امثال اجرها .
ومن الحسنات حسنات يهب الله فاعليها مثوبة اكبر واكثر ، يقول الله جلا علاه : (مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ٠٠) (١) .
ومما روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه عز وجل «فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، فَمَنْ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضَعَفَ إِلَى أضعاف كثيرة ٠٠ » (٢) .

وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٥﴾

والذين عملوا السيئات وماتوا دون توبة فان الله لا يجازيهم على السيئة الا بجزاء يماثلها لا يزداد على هذا القدر شيء ، وقد يعفو سبحانه في الحديث القدسي المروي في الصحيحين : عن ابن عباس « ٠٠ ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبتها الله له حسنة كاملة فان هو همَّ بها فعملها كتبتها الله له سيئة واحدة » .

١ - سورة البقرة ٠ من الآية (٢٦١) .

٢ - روى البستي في صحيح مسنده عن ابن عمر قال : لما نزلت هذه الآية : (مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ٠٠) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رب زد أمّتي » فنزلت : (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة ٠٠) سورة البقرة من الآية ٢٤٥ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رب زد أمّتي » فنزلت : (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) سورة الزمر من الآية ٠٠ (١) .

يقول صاحب تفسير القرآن العظيم (١) : واعلم ان تارك السيئة الذي لا يعملها على ثلاثة اقسام : تارة يتركها لله ، فهذا تكتب له حسنة على كفه (٢) عنها لله تعالى ، وهذا عمل ونية ، ولهذا جاء انه يكتب له حسنة كما جاء في بعض الفاظ الصحيح : « فانما تركها من جرأتي » اي من أجلي ؛ وتارة يتركها نسيانا وذهولا عنها ، فهذا لا له ولا عليه ، لانه لم ينو خيرا ولا فعل شرا ؛ وتارة يتركها عجزا وكسلا عنها بعد السعي في اسبابها ، والتلبس بما يقرب منها ، فهذا بمنزلة فاعلها ، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » فقلت (٣) يا رسول الله هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : « انه كان حريصا على قتل صاحبه » (٤) ١٠ هـ

من سورة الرعد

جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا

جنت الخلد ، والاقامة التي لا ظعن معها ولا تحوّل عنها ، يدخلها اصحاب العقول المدركة لحقائق الايمان (٥) والاحسان ، وعاقبة الثبات على النهج القويم ، والصبر في سبيل الله على المكاره، ودفع العمل السيء بالعمل السليم ودرء المنكر بالمعروف - يدخل هؤلاء الجنة العالية ٠
في صحيح البخاري : « اذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس ، فانه اوسط الجنة ، واعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر انهار الجنة » ٠ فدل هذا على ان الجنة منازل ، فيها الفضول والفاضل ، وصدق الله العظيم : (٥٠ وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا) (٦) ٠

- ١ - هو الحافظ ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفي سنة ٧٧٤ هـ .
- ٢ - كفه عنها : تركه لها ، وامتناعه منها ، وتباعده عن فعلها ٠
- ٣ - الذي نقله ابن كثير : [قالوا] ٠ مع ان المتفق عليه ان أبا بكره لقي الانحنف بن قيس وهو يريد نصرة رجل ٥٠ فقال له : ارجع فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا التقى المسلمان ٥٠ » فقلت يا رسول الله ! ٥٠ الخ الحديث ٠
- ٤ - رواه ابو بكره ٠ متفق عليه ٠ اللؤلؤ والمرجان حديث رقم ١٨٣٤ ٠
- ٥ - ذلك ما تبينه الايات الكريمات السابقة على تلك الاية : (٥٠ انما يتذكر اولو الابواب الذين يوفون بعهده الله ولا ينقضون الميثاق ٠ والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ٠ والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويبدعون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار) ٠
- ٦ - سورة الاسراء ٠ من الاية (٢) ٠

روى الطبري بسنده عن عبد الله بن عمرو قال : ان في الجنة قصرا يقال له : عدن ، حوله البروج والبروج ، فيه خمسة الاف باب على كل باب خمسة الاف حبرة (١) لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد .
كما روى عن الضحاك في قوله : (جنات عدن) قال : مدينة الجنة ، فيها الرسل والأنبياء والشهداء ، وأئمة الهدى ، والناس حولهم بعد ، والجنات حولها . اهـ .
وفي اللغة : عدن بالمكان : اذا أقام فيه .

وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ

ويدخل معهم دار المقامة الصالحون من آبائهم وامهاتهم ونسائهم واهليهم وذرياتهم . وان لم يعمل مثل اعمالهم ، يلحقه الله بهم كرامة لهم ، وتلك من دعوات الملائكة للمؤمنين : (ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك انت العزيز الحكيم) (٢) .
قال ابن عباس : هذا الصلاح : الايمان بالله والرسول ، ولو كان لهم مع الايمان طاعات أخرى لدخلوها بطاعتهم لأعلى وجه التبعية .
ومما نقل الواحدي : . . . الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره بحضور أهله معه في الجنة ، فلو دخلوها بالاعمال الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع . اهـ .
ويشرى من الله للمؤمنين انه سبحانه سيلحق بهم فصولهم في مستقر الرحمة من غير ان ينقص ذلك من أجور الكرمين : (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان أحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) (٣) .

وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٤﴾

يدخل ملائكة الجنة بالعطايا والهيئات من عند الله تكملة لهؤلاء السعداء يطالعون عليهم من كل باب من ابواب دار المقامة .
وقال ابو بكر الاصم : من كل باب من ابواب البر : كباب الصلاة ، وباب الزكاة وباب الصبر .

(١) - الحبرة : صنف من برود اليمن مخطط ، تتخذ منه الستور على الابواب .

(٢) - سورة غافر . الآية ٨ .

(٣) - سورة الطور . من الآية ٢١ . وما ألتناهم اي وما نقصنا من أجور عمل آبائهم .

ويقول النيسابوري : وقد يستدل بالاية على ان الملك أفضل من البشر ، والا فلم يكن دخولهم على المؤمنين موجباً لتحيتهم واکرامهم • ويمكن ان يجاب عنه بأن وجه التكریم هو مجيئهم باذن الله ومن عنده لا مجرد المجيء • اه •

سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ

يدخل عليهم الملائكة : من ههنا وههنا للتهنئة بدخول الجنة ، فعند دخولهم تغد عليهم الملائكة مسلمين يقولون : قد سلمكم الله من الآفات والحن وأدخلكم دار السلام ، او دعاء لهم بدوام السلامة ، نلتهم هذه السلامة في مستقر الخلد والكرامة بصبركم على أمر الله تعالى ونهيه ، او على ملازمة الطاعة وفراق المعصية او بصبركم عن اتباع الشهوات او عما تحبونه اذا فقدتموه • وقيل : على الجهاد في سبيل الله (١) •

ونقل صاحب الجامع لاحكام القرآن ! وعن عبد الله بن سلام وعلي ابن الحسين رضي الله عنهم انهما قالا : اذا كان يوم القيامة ينادي مناد : ليقيم أهل الصبر ! فيقوم ناس من الناس ، فيقال لهم : انطلقوا الى الجنة ، فتتلقاهم الملائكة فيقولون : الى اين ؟ فيقولون : الى الجنة • قالوا : قبل الحساب ؟ قالوا : نعم ! فيقولون : من انتم ؟ فيقولون : نحن أهل الصبر • قالوا : وما كان صبركم ؟ قالوا : صبرنا انفسنا على طاعة الله ، وصبرناها عن معاصي الله ، وصبرناها على البلاء والحن في الدنيا ! قال علي بن الحسين : فتقول لهم الملائكة : سلام عليكم بما صبرتم • اه •

فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾

نعم عاقبة الدار التي كنتم فيها ، عملتم فيها ما اعقبكم هذا النعيم •

١ - روى القرطبي عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل تدرون من يدخل الجنة من خلق الله » ؟ قالوا : الله ورسوله اعلم • قال : « المجاهدون : الذين تسد بهم الثغور ، وتتقى بهم المكارة ، فيموت احدهم وحاجته في نفسه لا يستطيع لها قضاء ، فتأتيهم الملائكة ، فيدخلون عليهم من كل باب : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » •

كما نقل البيهقي بسنده عن ابي هريرة قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي الشهداء ، فاذا أتى فرضة الشعب [فوهة فرجة بين جبلين بأحد] يقول : « السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » • ثم كان ابو بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم يفعله ، وكان عمر بعد ابي بكر يفعله ، وكان عثمان بعد عمر يفعله • اه •

من سورة مريم

وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ

أمر من الله تعالى إلى نبيه أن يخوف الناس أهوال يوم القيامة ،
ويحذرهم الوقوع في الكفر والفسوق الذي يُعَقِّب أصحابه ندامة وغماً يوم
يحكم الله بين العباد .

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي
الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل أهل
الجنة الجنة وأهل النار النار وجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح (١)
فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة ! هل تعرفون هذا ؟
فيشترئبون (٢) وينظرون ويقولون : نعم ! هذا الموت - قال - ثم يقال ،
يا أهل النار ! هل تعرفون هذا ؟ فيشترئبون وينظرون ويقولون : نعم ! هذا
الموت - قال - فيؤمر به فيذبح ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ،
ويا أهل النار خلود فلا موت - ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم -
(وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) » .
خرجه الامام البخاري بمعناه عن ابن عمر رضي الله عنهما .

وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٩﴾

والناس الاشقياء في غفلة عما ينتظرهم يوم الوعيد ، ولا يصدقون
بיום الدين ، ولا بجزاء الله للمتقين والمجرمين .

يقول الامام ابو جعفر محمد بن جرير : وقوله : (وهم في غفلة)
يقول : وهؤلاء المشركون في غفلة عما الله فاعل بهم يوم يأتونه خارجين
إليه من قبورهم ، من تخليده اياهم في جهنم ، وتوريثه مساكنهم من الجنة
غيرهم (وهم لا يؤمنون) يقول تعالى ذكره : وهم لا يصدقون بالقيامة
والبعث ومجازاة الله إياهم على سيئ اعمالهم بما اخبر أنه مجازيهم به . اهـ

١ - الاملح : الذي بياضه اكثر من سواده . وقيل : النقي البياض .

٢ - يشترئبون : يمدون اعناقهم متطلعين .

من سورة الحج

.. فَأَلْذِنَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ

الكافرون يعذبون في جهنم اغلظ العذاب ، ففراشهم لهيب ، وغطاؤهم لهيب : (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين) (١) ومع ذلك تحيط بهم النار احاطة الثياب بالجسد .
مما أورد القرطبي : خيطت وسويت . وقوله : (قطعت) اي تقطع لهم في الاخرة ثياب من نار ، وذكر بلفظ الماضي لان ما كان من أخبار الاخرة فالوعود منه كالواقع المحقق . قال الله تعالى : (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس (٠٠) (٢) .

يُصَبُّ مِنْ فَوْقَ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾

يفاض الماء المغلي في حر السعير على رؤس المعذبين ، وهو غوثهم وشرابهم ، كما قال الله عز شأنه : (٠٠ وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب (٠٠) (٣) وفي آية ثانية : (ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم) (٤) .

يُضْهِرُّ بِهِ مَآبٍ بِطُونِهِمْ وَأَجْلُودُ ﴿٢٠﴾

الحميم الذي يراق عليهم ، ويتسرب الى اجوافهم يذيب الاحشاء ويحرق الجلود، يقول الله جل علاه: (٠٠ وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم) (٥) .
وأورد القرطبي في تفسير هذه الآية حديثا أخرجه الترمذي وصححه (٦) .

١ - سورة الاعراف . الآية (٤) . ٢ - سورة المائدة . من الآية ١١٦ .

٣ - سورة الكهف . من الآية ٢٩ . ٤ - سورة الصافات . الآية ٦٧ .

٥ - سورة محمد . من الآية ١٥ .

٦ - عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه ، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان » . قال . هذا حديث حسن صحيح غريب .

وَلَهُمْ مَقْعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾

بأيدي خزنة النار مطارق لضرب هؤلاء الاشقياء ودفعهم

كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا

إذا اجتمع الى العذاب الحسي الكرب النفسي عظم الضيق والهم ،
فكلما هموا بمحاولة الفكاك من هذا الضنك ردتهم الملائكة الغلاظ الشداد .

وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾

ونودوا - ربما من الخزنة - : تقلبوا في الام الشبي والتعاسة ،
فجمعوا إلى العذاب الفعلي عذابا قوليا .
فاللهم قنا عذاب النار ، وأدخلنا الجنة مع الابرار .

من سورة الزمر

وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا

هذا بيان حال الاشقياء الكفار حين يساقون جماعة تلو جماعة الى النار .

قال الاخفش وابو عبيدة : (زمرا) جماعات متفرقة ، بعضها إثر بعض
يقول الشاعر : وترى الناس الى منزله زمرا تنقابه بعد زمر

حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا

فور وصولهم إليها تفتح لهم ابوابها سريعا ، لتعجل لهم العقوبة .

وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ

آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ

يقول خزنة جهنم وهم الزبانية غلاظ الاخلاق شداد القوى - يويخون

الفجار ويقريعونهم ويمعنون في النكال بهم - : ألم يبعث الله إليكم رسلا من جنسكم ، ويتكلمون بلسانكم ، يبينون لكم سبيل فوزكم ونجاتكم ، ويبلغونكم الهدى المنزل من ربكم ويخوفون ويحذرون من هول هذا اليوم وشيئه ؟ • قال الكفار : بلى ! قد جاءتنا رسلنا فأندرتنا عبوس هذا اليوم وعسره

وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾

شهدوا على انفسهم بالجحود ، ورجعوا عليها بالملامة والندامة ، بما كذبوا المرسلين ، وصدّوا عن الحق المبين (٥٠ • كذلك يريهم الله اعمالهم حشرات عليهم وما هم بخارجين من النار) (١) (يوم تغلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا • وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا • ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا) (٢) •

قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا

فيقول خزنة جهنم للذين كفروا - بعد إقرارهم على انفسهم بما كانوا يُصرون عليه من الخبال ، ويؤثرونه من الضلال - ادخلوا من ابواب جهنم السبعة - أجارنا الله منها - ويزجون فيها على قدر ما اقترب كل منهم من آثام ، وما اجترح في دنياه من سيئات ، مصداقا لقول الله سبحانه : (وإن جهنم لموعدهم اجمعين • لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) (٣) •

فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾

وتملا الخزنة قلوب المعذبين حشرات ، فتخبرهم ان منازلهم التي أنزلوها في السعير لا خروج منها ، ولا زوال لهم عنها ، بل هم فيها ماكثون ، فبئس المقيلا والمستقر ! وأي مَثْوَى اتعس من لهيب مسعر يحيط بأجسادهم ومن فوق رؤسهم ومن تحتهم ؟ ! (لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظل) (٤) ونزلهم شجرة الزقوم (كالهل يغلي في البطون كغلي الحميم) (٥) جزاء وفاقا للمتأبى على الحق في الدنيا ، والصيد عن سبيل الهدى ، والتعالي عن الإذعان لامر ربنا الكبير المتعال •

١ - سورة البقرة • من الآية ١٦٧ • ٢ - سورة الاحزاب • الايات : من ٦٦ - ٦٨

٣ - سورة الحجر • الايتان : ٤٣ ، ٤٤ • ٤ - سورة الزمر • من الآية ١٦ •

٥ - سورة الدخان • الايتان : ٤٥ ، ٤٦ •

وَسَبِقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا

وتساق مراكب (١) السعداء الاتقياء ونجائبهم - بعد الحساب - وفدا إلى الجنة ، وجماعة بعد جماعة : المقربون ثم الابرار ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم .

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا

حتى اذا شارفوها وجدوها مهياة كأنما تترقب قدومهم ، مفتحة الابواب ، تكرима لهم؛ كما قال الله تعالى : (جنات عدن مفتحة لهم الابواب (٢) .

وقيل في التعليل لزيادة الواو في قول الله تبارك وتعالى في أهل الجنة (٠٠ حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها ٠٠) عنها في قوله سبحانه في أهل النار : (٠٠ حتى اذا جاءوها فتحت ابوابها ٠٠) قالوا : ان هذه الواو واو الثمانية ، وذلك من عادة قريش انهم يعدون من الواحد فيقولون : خمسة ستة سبعة وثمانية ، فاذا بلغوا السبعة قالوا : وثمانية . قاله ابو بكر بن عياش . قال الله تعالى : (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام ٠٠) وقال : (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ٠٠) وقال : (٠٠ ويقولون سبعة وثمانهم كلهم ٠٠) وقال : (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات فانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وإبكارا) (٦) .

١ - قال جار الله : المضاف هنا محذوف . اي وسبق مراكب الذين اتقوا لانهم لا يذهبون

الا راكبين كالوافدين على ملوك الدنيا ٠ اهـ .

٢ - سورة ص . الاية ٥٠ . ٣ - سورة الحاقة . من الاية ٧ .

٤ - سورة التوبة . من الاية ١٢٢ . فجاء في الوصف الثامن وقرنه بالواو .

٥ - سورة الكهف . من الاية ٢٢ .

٦ - سورة التحريم . الاية ٥٠ فجاء في الصفة الثامنة وقرنها بالواو .

واستدل بهذا (١) من قال : ان أبواب الجنة ثمانية (٢) •

وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا

إذا جاء المؤمنون إلى الجنة أفواجا : الأنبياء والشهداء والعلماء والقراء والأتقياء ، ووجدوا أبوابها مفتوحة - تعظيما لهم - وتلقاهم الملائكة الخزنة - إذا كان هذا سعدوا وطابوا وفرحوا وسرّوا ، فيكون هذا تقدير جواب (إذا) المحذوف •

سَلَّمَ عَلَيْكُمْ

سلمتم من احوال الدنيا واهوال الآخرة فبشرى لكم ، او دعاء لهم بدوام السلامة •

طِبْتُمْ فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾

طبتم نفسا بما نلتهم من الجنة ونعيمها ، أو طابت أعمالكم واقوالكم وسعيكم في الدنيا ، فطاب اليوم مثواكم وجزاؤكم •
أو طبتم من دنس المعاصي ، وطهرتم من خبث الخطايا ، فأكرمكم ربكم

- ١ - قال ابن كثير : وانما يستفاد كون أبواب الجنة ثمانية من الأحاديث الصحيحة • قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اتفق زوجين من ماله في سبيل الله تعالى دعى من أبواب الجنة ، وللجنة أبواب فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان » فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : يا رسول الله ! ما على أحد ضرورة دعى من أيها دعى ، فهل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « نعم ! وارجو ان تكون منهم » • رواه البخاري ومسلم من حديث الزهري بنحوه ، وفيهما من حديث أبي حازم سلمة ابن دينار عن سهل بن سعد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان في الجنة ثمانية أبواب باب منها يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون » هكذا اورد ابن كثير • وكلمة « زوجين » بمعنى صنفين •
- ٢ - من اول كلمة [وقيل] الى [ثمانية] نقلت من تفسير القرطبي ، بتصرف •

بدخول دار النعيم والمكث فيها ، لأنها دار طهرها الله من كل رجس فلا ينالها إلا من هو موصوف بصفتها ، وابقوا فيها ممتعين ، وما أنتم منها بمخرجين .

من سورة غافر

وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٩٩﴾

يقول المعذبون في جهنم لخزنتها وسجانيها وقوامها - استغاثة بهم من عظيم ما هم فيه من البلاء ، ورجاء ان يجدوا من عندهم شفاعا - يسألونهم التضرع إلى الله ان يخفف عنهم ما وقع بهم من العذاب الذي يعانون من شدته وألّه ، ولو قدر يوم واحد من ايام الدنيا .
وأيام الآخرة ليست كأيام الدنيا ، اذ من المعلوم أن دورة الارض وحركة الشمس والقمر يتسبب عنها حدوث الليل والنهار وتقلبهما ، والقرآن الكريم يمتن على العباد بتعاقب هاتين النعمتين ، وأثرهما في تحديد المواقيت ، وتعليم العقلاء عدد الايام ، وحساب الشهور والأعوام . يقول الله جل علاه : (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب ٠٠) (١) .
فاذا بدل الله الارض غير الارض والسموات ، وجمع الشمس والقمر ، لم يعد هناك ليل ولا نهار ، وهما مجموع اليوم من ايام الدنيا .

جاء في جامع البيان ما نصه : انما قلنا معنى ذلك قدر يوم من ايام الدنيا ، لان الآخرة يوم لا ليل فيه فيقال : خفت عنهم يوما واحدا . اهـ .

قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ

قالت خزنة جهنم للذين هم فيها : او لم تك تأتيكم رسلكم الذين بعثهم الله اليكم بالبينات من الحجج على توحيد الله فتوحده وتؤمنوا به وتتبرءوا مما دونه من الآلهة ؟ قالوا : بلى قد اتتنا رسلنا بتلك الدلائل والحجج والعلامات والآيات .

قَالُوا فَادْعُوا^ط

قالت الخزنة لهم : فادعوا اذا ربيكم ! وما ينفعكم دعاؤكم ، ونحن براء منكم ولن ندعوا لكم •

وَمَا دَعَتُوا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٧﴾

وسواء دعوتهم ام لم تدعوا لن يخفف عنكم وانما دعاؤكم الى ذهاب ، لا يقبل ولا يستجاب • فاللهم لا تخزنا ، وقنا يا ربنا عذاب النار •

من سورة الزخرف

ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾

ينادى أهل الايمان والاسلام من لدن ربنا ذي الجلال والإكرام : ان ادخلوا الجنة ومعكم ازواجكم : نساؤكم اللاتي تزوجتموهن في الدنيا ، وقاصرات الطرف الحسان اللاتي لم يطمثنهن إنس قبلكم ولا جان ، وصدق الله العظيم : (٧٠) وزوجناهم بحور عين (١) • وسكنناهم معكم في البساتين والخيام ، والمساكن الطيبة والقصور : (٧٠) لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد (٢) •

واستبشروا بمقام لا كدر فيه ولا غم ، ولا تنغيص ولا شقاق ولا هم : (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور • الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) (٣) • فهم في كرامة ورفعة ونعمة وسرور • والحبور : السعادة والسرور •

يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِغَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ^ط

الطعام والشراب يقدمان في آنية الذهب ، فالاطباق والاكواب ذهبية خالصة • في الصحيحين عن حذيفة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول

٢ - سورة الزمر • من الآية ٢٠ •

١ - سورة الطور • من الآية ٢٠ •

٣ - سورة فاطر • الايتان ٣٤ ، ٣٥ •

« لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ، ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة » .
 « لهم » يعني للذين لا يرجون لقاء الله ، واطمأنوا الى زخارف الدنيا ، وأحبّوها وأترفوا فيها ، وتعدّوا حدود الله ، وجحدوا شرعه .
 قال الكسائي : اعظم القصاع : الجفنة ، ثم القصعة تليها تشبّع العشرة ، ثم الصحيفة تشبّع الخمسة ، ثم المئكة تشبّع الرجلين والثلاثة ، ثم الصحيفة تشبّع الرجل . وقال الجوهري : الكوب : كوز لا عروة له .

وَفِيهَا مَا تَسْتَبِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ

وفي الجنة كل ما تتمناه النفوس ، وتشتاق إلى مطالعته العيون ، وكل ما طاب وأعجب مذاقه ومراه .

وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾

يبيّهرهم ربهم بالبقاء في دار التنعيم والتكريم (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم . فضلا من ربك ٠٠) (١) (لا يمسه فيها نصب وما هم منها بمخرجين) (٢) .

★★★

إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٢﴾

الفجّار الاشرار مأواهم النار يمكنون في سجنها وحرها وسعيرها ، يبقون على ذلك ابدا (٠٠ وما هم بخارجين من النار ٣) ويفص الشقي - فوق غصته بطعام الزقوم والغسلين - بكربه ونوبه ، (٤) وظمئه وسغبه (٥) ، فلا يدرك راحة ولا غوثا (٠٠ ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ٠٠) (٦) .

١ - سورة الدخان ٠ الاية ٥٦ ومن الاية ٥٧ . ٢ - سورة الحجر ٠ الاية ٤٨ .

٣ - سورة البقرة ٠ من الاية ١٦٧ .

٤ - الكرب : الضوايق التي تغتم بها النفس ، والنوب ، البلايا .

٥ - السغب : الجوع ، وهكذا طعام النار (ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع) سورة الفاشية ٠ الايتان ٦ ، ٧ .

٦ - سورة ابراهيم ٠ من الايتين ١٦ ، ١٧ .

لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾

لا ينقطع العذاب عنهم فترة ، ولا تخف حدّته مرّة ، وهم تحت هذا الضنك والكرب حائرون محزونون (اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون • في الحميم ثم في النار يسجرون) (١) •

وأية تعاسة تبلغ شقوة المعضب الموثق بالسلاسل (الذي يصلى النار الكبرى • ثم لا يموت فيها ولا يحيى) (٢) (وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل) (٣) •

وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ

جزيناهم ببغيهم (• • • وهل نجازي الا الكفور) (٤) • وما هلك على الله الا هالك : (انه كان لا يؤمن بالله العظيم • ولا يحض على طعام المسكين • فليس له اليوم ها هنا حميم • ولا طعام الا من غسـلـين • لا يأكله الا الخاطئون) (٥) (وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير • فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير) (٦) •

وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾

ظلموا انفسهم بالصد عن الهدى وكراهية الحق ، وعظم ظلمكم بالفساد في الأرض ، والبغي على الخلق ، ومجاوزة الحد ، وعصيان الله ورسوله •

وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ

نادي المجرمون خازن النار الملك الموكل بها مالك ، مستغيثين به بعد ما عانوا من عذابها وبلائها قائلين : ليمتنا ربك ويقض ارواحنا فيريحنا مما نقاسي ! •

قَالَ إِنَّكُمْ مَكِينُونَ ﴿٧٧﴾

- ١ - سورة غافر • الايتان : (٧١ ، ٧٢) ٢ - سورة الاعلى • الايتان : ١٢ ، ١٣ •
٣ - سورة فاطر • من الاية ٣٧ • ٤ - سورة سبا • من الاية ١٧ •
٥ - سورة الحاقة • الايات : من ٣٣ - ٣٧ • سورة الملك • الايتان : ١٠ ، ١١ •

يجيبهم مالك عليه السلام ! إنكم ما كثون لا خروج لكم منها ، ولا محيص عنها ، وهم بعد اقرارهم لله تعالى بضلالهم ، وسؤالهم آياه ان يخرجهم ليعملوا خيرا مما عملوا ، يناديهم عز شأنه (٠٠ اخسثوا فيها ولا تكلمون . انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين . فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون) (١) .

من سورة الواقعة

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾

خير الناس منزلة يوم القيامة السارعون بالخير ، وكرر للتوكيد .
او السابقون الى الايمان بالله ونصرة دينه واتباع نبيه هم السابقون يوم ثواب الله وجزائه .
نقل عن سعيد بن جبير : (السابقون) الى [المراقبة] واعمال البر (٢) ، قال الله تعالى : (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) (٣) ثم أثنى عليهم بقوله : (أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) (٤) .

أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾

هؤلاء هم اهل القرب من رضوان الله والفردوس الاعلى ، المقربون الى [مقامات لا يكشف عنها المقال من الجمال] (٥) ، وتأمل معي قول ربنا الكبير المتعال : (فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين (٠٠) (٦)) .

فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾

- ١ - سورة المؤمنون . من الآية ١٠٨ والايتان : ١٠٩ ، ١١٠ .
- ٢ - اورد القرطبي ما نصه : روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « السابقون الذين اذا اعطوا الحق قبلوه ، واذا سئلوه بذلوه ، وحكموا للناس كحكمهم لانفسهم »
- ٣ - سورة المؤمنون . الآية ٥٧ . والذي نقل عنه : (وسارعوا الى مغفرة من ربكم) فلعله خطأ ممن نقل عن سعيد رضي الله عنه .
- ٤ - سورة المؤمنون . الآية ٦١ .
- ٥ - العبارة التي بين القوسين اقتبسناها من تفسير غرائب القرآن .
- ٦ - سورة السجدة . من الآية ١٧ .

هم في جنان وفراديس أسمى من سائر الجنات (٠٠) وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا (١) .

روى البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله : « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فافرقوا ان شئتم (فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين) » .

وروي عن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان اهل الجنة ليتراءون (٢) الغرف في الجنة كما تتراءون الكوكب في السماء » .

ثُمَّ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾

طائفة وجماعة من هؤلاء المقربين هم من سلفنا الصالحين ، وقلة ممن يأتي بعدهم من اللاحقين ، قال لهم اجعلنا منهم بفضلك يا كريم .

عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾

يجلس المقربون على أسرة منسوجة بالذهب - كما قال ابن عباس - او مشبكة بالدر والياقوت والزبرجد - روى هذا عن عكرمة وطائفة من مفسري السلف .

واللغويون عرفوا الوضن بأنه النسيج المضاعف المحكم ، ومنه الوضين: بطن من سيور ينسج فيدخل بعضه في بعض ، ومنه قول الشاعر: إليك تعدو. قلقا وضينها (٣) .

مُتَكَبِّرِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾

كل منهم متكئ على سريره ، وجهه الى وجه بقية أحبابه ، يتكئون متقابلين لا يرى بعضهم قفا بعض (٤) .

١ - سورة الاسراء . من الآية (٢) .

٢ - ليتراءون : لينظرون . اي لينظرون الى اهل الغرف في الدرجات العلا من الجنات كما ينظرون الى الكوكب في السماء لما بين الدرجتين من بعد المسافة .

٣ - الضمير يعود على الناقة . من طول سيرها ضمرت فاتسع رباط رجليها .

٤ - يقول الامام القرطبي : هذا في المؤمن وزوجته وأهله . أقول : جاء في آية اخرى :

(٠٠ اخوانا على سرر متقابلين) سورة الحجر . من الآية ٤٧ .

وهي سرر ليست كذلك التي نرى ، بل حشياتها كما وصف القرآن الكريم : (متكئين على فرش بطائنها من استبرق ٠٠) (١) (متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان) (٢) .

قيل لسعيد بن جبر : البطائن من استبرق ، فما الظواهر ؟ قال : هذا مما قال الله : (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ٠٠) (٣) وقال ابن عباس انما وصف لكم بطائنها لتهتدي اليها قلوبكم ، فأما الظواهر فلا يعلمها الا الله . ومما يقول الكلبي ٠٠ اذا اراد العبد ان يجلس عليها تواضعت ، فاذا جلس عليها ارتفعت .

أقول : وكأنه يشير بهذا الى ما تضمنته الآية الكريمة : (فيها سرر مرفوعة) (٤) .

ونفائس الاثاث والرياش بعد ، فالطنافس والنمارق محشودة موفورة (ونمارق مصفوفة . وزرابي مبثوثة) (٥) . فاللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى .

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُّحَلَّدُونَ ﴿١٧﴾

يطوف على المقربين فتية يافعون جندهم المولى العلي الكبير لخدمة هؤلاء الابرار الاخيار - ولعل من الحكمة في جعلهم ولدانا انهم اخف واسرع - وهم لا يموتون ولا يهرمون (ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون) (٦) .

بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾

يقدم هؤلاء الولدان للمنعمين الشراب في اوان مختلفة متفاوتة : فمن أكواب - كيزان لا آذن لها - الى كنوس ذات عرى وآذان ، الى اباريق لها عرى وخراطيم ، والشراب من نبع متدفق من خمر الجنة .

والكأس عند أهل اللغة : اسم شامل لكل اناء مع شرابه فان كان فارغا فليس بكأس ، وانما هو قدح او اناء .

١ - سورة الرحمن . من الآية ٥٤ . ٢ - سورة الرحمن . الآية ٧٦ .

٣ - سورة السجدة . من الآية ١٧ . ٤ - سورة الغاشية . الآية ١٣ .

٥ - سورة الغاشية . الايتان : ١٥ ، ١٦ . ٦ - سورة الطور . الآية ٢٤ .

وفي آية أخرى يبين الله الحكيم مشارب شتى في الجنة ، تجري جريان الانهار : (٠٠ فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصقى (٠٠) (١) .
وهكذا : اما ان تملأ الكؤوس للابرار من نهر خمر يجري في الجنة ، وإما من عين ونبع يتدفق بها .

لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ ﴿١٩﴾

لا تعقب شاربيها صداعا في رؤوسهم ولا غيابا لعقولهم، وإنما يلدنون في صحو بشرابها (لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون) (٢) .

وَفَكِهَةٌ مِمَّا يَتَخَبَّرُونَ ﴿٢٠﴾

ويطوف الولدان المخلدون على السابقين المقربين بالطيب المختار من الفاكهة اية فاكهة : (٠٠ ولهم فيها من كل الثمرات (٠٠) (٣) كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها (٠٠) (٤) .
فالسدر المخضود ، والطلح المنضود ، والنخل والرمان (وفاكهة كثيرة . لا مقطوعة ولا ممنوعة) (٥) .

وَلَحْمَ طَيْرٍ مِمَّا يَسْتَهْنُونَ ﴿٢١﴾

مع الوان الشراب ، وصنوف الفاكهة ، تقدم لهم اطاييب الطعام ، وإذا كان سيد الطعام اللحم – كما هو معلوم – فان اشهى اللحوم لحوم الطير (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية) (٦) .

وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾

-
- ١ - سورة محمد . من الاية ١٥ .
 - ٢ - سورة الصافات . الاية ٤٧ . اي لا تفتال العقول ، ولا تستخرج القول المرذول ، وانما كما بين القرآن العزيز (٠٠ لا لغو فيها ولا تأثيم) .
 - ٣ - سورة محمد . من الاية ١٥ .
 - ٤ - سورة البقرة . من الاية ٢٥ .
 - ٥ - سورة الواقعة : الايتان : ٣٢ ، ٣٣ .

الحدود جمع ، واحدها : حوراء • والحور شدة بياض العين مع شدة سواد حدقتها • ومفرد العين : عينا وهي واسعة العينين •

للمتقين المفضلين ، والمكرمين المنعمين زوجات هن حور عين ، فضلا عن نسائهم وزوجاتهم في الدنيا • لكن القرآن وصف الحور فقال : (كأنهن الياقوت والمرجان) (١) •

مما روى الشيخان عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - في صفتهم - : « ••• ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة الى الارض لملا ما بينهما ريحا ولطاب ما بينهما ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » •

كَأَمْثِلِ اللَّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿١٣﴾

من في جمال خلقهن ، وصفاء مظهرهن ، وتشاكل اجسادهن ، وحسنهن من كافة جوانبهن ، يشابهن اللؤلؤ الذي لم تمسه الايدي ، ولم يخالطه الغبار ، فهو اشد ما يكون صفاء وتلألؤا •

من سورة التحريم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا

يا أمر الله عباده الذين صدقوه ورسله أن يقيموا بينهم هم وأهلهم وبين جهنم وقاية ، وذلك بأن يصلحوا أنفسهم بإنفاذ أمر الله واجتناب نهيه ، ويعلموا قرابتهم وذريتهم ونساءهم ومن يلونهم ما فرض الله عليهم وما حرم ، ويؤدبهم ، ويجنبوهم المعاصي والآثام •

يقول القرطبي : فعلى الرجل ان يصلح نفسه بالطاعة ويصلح أهله ! صلاح الراعي للرعية ، ففي صحيح الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالامام الذي على الناس راع وهو مسؤول عنهم ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم » اه •

ونقل القرطبي عن قتادة : أن يأمرهم بطاعة الله وينهاهم عن معصيته ،
وان يقوم عليهم بأمر الله ، يأمرهم به ويساعدهم عليه ، فإذا رأيت لله معصية
رددتهم عنها وزجرتهم عنها . اهـ .

وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ

حطب الجحيم الذي يلقى فيها وتسعر به ليس الا جثث العصاة ،
والأصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله ، لقوله تعالى : (إنكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم) (١) .

عَلَيْهَا مَلَكٌ غَلَاظٌ شَدَادٌ

يقوم على حراسة النار ملائكة طباعهم غليظة . لا تأخذهم بالمجرمين
رأفة ، ولا بالكافرين رحمة ، شداد القوى والأبدان .

لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ

الخزنة الزبانية لا يخالفون الله تعالى في أمره ، لا بزيادة ولا بنقصان ،
ومهما تمنى المعذب ان يفتك من محبسه بأي مقابل لا يخلو سبيله (١٠٠ يودّ
المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه . وصاحبه واخيه . وفصيلته التي
تؤويه . ومن في الارض جميعا ثم ينجيه . كلا إنها لظى . نزاعة للشوى) (٢)
(يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) (٣) .

وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿١٠٠﴾

ينفذ الخزنة أمر الله سبحانه في وقته من غير تقديم أو تأخير أو
تقصير ، هذا يؤخذ بالنواصي والاقدام ، وذاك يسحب في النار على وجهه ،
وهؤلاء يربط الواحد منهم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا ، وآخر تندلق
امعاؤه في النار فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى ، والملائكة الموكلون
بها قادرون - بإقدار الله - على فعل ما يؤمرون به ، ليس بهم عجز عنه .
فاللهم تجاوز عن سيئاتنا في اصحاب الجنة .

١ - سورة الانبياء . من الآية ٩٨ .

٢ - سورة المعارج . من الآية ١١ والايات من ١٢ - ١٦ - ٣٠ - سورة المائدة . الآية ٣٧ .

من سورة المدثر

وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٧﴾

وما أعلمك أي شيء سقر ؟ ! إنها عظيمة الهول ، بالغة النكال ،
عجبية الاحوال .

[وإنما سميت سقر : من سقرته الشمس اذا اذابته ولوحتة ، وأحرقت
جلدة وجهه ، ولا ينصرف للتعريف والتأنيث] (١) .

لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾

لا تبقي من فيها حيا ولا تذر ميتا ، لان شدة بلائها تكاد تميته وما هو
بميت ، يقول الله عز شأنه : (وما أدراك ما الحطمة • نار الله الموقدة •
التي تطلع على الافئدة • إنها عليهم مؤصدة • في عمد ممددة) (٢) .
وكيف تبقى او تذر افران صهر مغلقة ، والسنة لهب مندلعة متطاولة ،
وتمديدات جهنمية في عمد منبثة في شتى نواحيهم ؟ !
نعوذ بالله من مقتته وعذابه .

لَوَّاحَةٌ لِلْبَّشَرِ ﴿٢٩﴾

مغيرة هي لأحوال المعذبين • والعرب تقول : لاحة البرد والحر والسقم
والحزن : اذا غيره ، ومنه قول الشاعر :
تقول ما لاحك يا مسافر يا بنة عمي لاحني الهواجر (٣) .
وقال ابن كيسان : تلوح لهم جهنم حتى يرونها عيانا ، نظيره :
(وبرزت الجحيم للغاوين) (٤) .
أقول : والقرآن الكريم يبين أنها واصحابها يتراءون من مسافات
مترامية (اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا) (٥) .

١ - اقتبست العبارة التي بين القوسين من : الجامع لاحكام القرآن .

٢ - سورة الهمزة • الايات من ٥ - ٩ .

٣ - غيرني حر الشمس ، والارتحال في القيظ .

٤ - سورة الشعراء • الاية ٩١ ٥ - سورة الفرقان • الاية ١٢ .

والبشر ربما تكون بمعنى : الأناسي من أهل النار ، أو بمعنى جلدة الأجسام الظاهرة ، حيث يعذب فيها الجاحدون من الانس والجن كما حكى كتاب الله تعالى عنهم : (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون ١) فمن اسلم فأولئك تحروا رشدا ٠ وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا (٢) يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم (٣) ٠

عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٤٠﴾

يقوم على عذاب أهل سقر ويتولى سجنهم في محبس النار خزنتها وعددهم تسعة عشر ملكا هم مالك وثمانية عشر من الجند الآلهي ٠

يقول الثعلبي : ولا ينكر هذا ، فإذا كان ملك واحد يقبض ارواح جميع الخلائق ، كان اخرى ان يكون تسعة عشر على عذاب بعض الخلائق ٠

عن ابن عباس وقتادة وغيرهما : لما نزل (عليها تسعة عشر) قال ابو جهل لقريش : ثكلتكم امهاتكم ! أسمع ابن ابي كبشة ٤) يخبركم ان خزنة جهنم تسعة عشر ، وانتم الّاهم ٥) الشجعان ، فيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم ، ثم تخرجون من النار ؟ فنزل قوله تعالى :

وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً

قضى الله ان يكون خزنة جهنم من جنس الملائكة ، فلا مجال لمحاولة مغالبتهم ، ولا امل للمعذبين في الافلات من قهرهم وسلطانهم ، اذ هم أشد خلق الله بأسا ، وأقواهم بطشا ، وهم أقوم خلق الله بحق الله ٠

وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا

وما جعلهم الله بهذا العدد الا ابتلاء واختبارا للذين لا يؤمنون بصدق حديث الله ، ولا يذعنون لوحيه ، وابو جهل في مقدمة الجاحدين المستكبرين

-
- ١ - القاسط : الجائر لانه عادل عن الحق ، وأما المقسط فهو العادل المتجه الى الحق ٠
 وقسط بمعنى جار ء وأقسط : يعني عدل ومنه قوله تعالى : (٠٠ فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين) سورة المائدة من الآية ٤٢ ٠
 ٢ - سورة الجن ، الايتان ٤ ، ١٥ ٠ ٣ - سورة الاحقاف ١٠ الآية ٣ ٠
 ٤ - كانوا - عليهم اللعنة - يسمون النبي بذلك استهزاء به ٥ - الّاهم : الكثير ٠

عن الحق ، ولهذا جاءه الوعيد والتهديد : (فليدع ناديه سندع الزبانية) (١)

وقيل : (فتنة) اي عذابا ، كما في قوله تعالى : (يوم هم على النار يفتنون • ذوقوا فتنكم ٠٠) (٢) • أي جعلهم الله بهذا العدد - وإن كان قادرا على مسح المجرمين على مكانتهم فلا يستطيعون مضيا ولا حراكا ، قادرا كذلك على أن يقيم عليهم خزنة بعدد المعذبين فما يعلم جنود ربنا وعددهم إلا ربنا سبحانه - فكان جعلهم كذلك من اسباب كفر الكافرين ، ومن اسباب عذابهم •

لِیَسْتَفِیْنَ الَّذِیْنَ أُوتُوا الْكِتَابَ

ليوقن الذين أعطوا التوراة والإنجيل ورسخ يقينهم أن ما علم الله خاتم النبيين محمدا من عدة خزنة جهنم موافق لما عندهم ، ولما نزل في كتبهم •

وَيَزِدَادَ الَّذِیْنَ ءَامَنُوا إِيْمَانًا^٧

لأنه كلما نزل من القران شيء فآمن به وصدقه أهل التوحيد واليقين ازدادوا إيمانا على إيمانهم •

وَلَا يَرْتَابَ الَّذِیْنَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ^٧

ولا يشك من صدقوا بالكتب السماوية السابقة ، ولا أهل التصديق من أتباع محمد - صلى الله عليه وسلم - في أن عدد خزنة جهنم تسعة عشر ملكا •

وَلَيَقُولَ الَّذِیْنَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ

مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا^ج

هذا الامتحان بتحديد عدة خزنة النار ربح فيه أهل الايمان فازدادوا هدى ، وخسر أهل الشك والشرك ، والجهود والضلال فازدادوا زيفا • وهذا شأن القرآن وأثره كما بين الله موحيه : (٠٠ قل هو للذين

١ - سورة العلق • الايتان : ١٧ ، ١٨ • ٢ - سورة الذاريات • الاية ١٣ ومن الاية ١٤ •

آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمی (١٠٠) (١)
(ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا
خسارا) (٢) •

والذين في قلوبهم مرض : قد يراد بهم اهل النفاق بالمدينة ، نقل هذا
عن أكثر المفسرين • لكن ربما يرد هذا القول أن الآية مكية ، ولم يكن بمكة
نفاق ، ولهذا ذهب جماعة إلى أن المرض هنا بمعنى الشك والارتياب •
(ماذا اراد الله بهذا مثلا) أي شيء أريد بذكر هذا العدد وحديثه ؟ •

قال الليث : المثل : الحديث ، ومنه : (مثل الجنسة التي وعد
المتقون ٠٠) (٣) اي حديثها والخبر عنها •

كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ

كاضلال الله ابا جهل واصحابه المنكرين لقوة خزنة النار وعدتهم
يضل الله ويخزي ويعمي من أراد ، كما قال سبحانه : (وأما الذين في
قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم ٠٠) (٤) •

وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ

ويرشد من يشاء كإرشاد النبي واصحابه والذين اتبعوه •
وقيل : كذلك يضل الله عن الجنة من يشاء ، ويرشد ويهدي إليهما من
يشاء •

وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ

الله وحده هو العالم بعدد ملائكته (٥) ، والجند الذين لا يخالفون عن
أمره : (ولله جنود السموات والارض ٠٠) (٦) وفيهم من أعددهم سبحانه
لتعذيب أهل النار •

-
- ١ - سورة فصلت • من الآية ٤٤ • ٢ - سورة الاسراء • الآية ٨٢ •
٣ - سورة الرعد • من الآية ٣٥ • ٤ - سورة التوبة • من الآية ١٢٥ •
٥ - روى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم : « اظت السماء وحق لها ان تنط ، ما
فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا » • ورواية احمد :
« ليس فيها موضع اربع اصابع الا وفيه ملك لله ساجد او راكم ٠٠ » •
٦ - سورة الفتح • من الآية ٧ •

وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشْرِ ﴿٢١﴾

ما هذه العدة الا ذكرى للبشر ليتذكروا كمال قدرة الله تعالى ، وأنه لا يحتاج إلى اعوان وأنصار ، وما الجنود إلا عظة .
وقال الزجاج : نار الدنيا تذكرة لنار الآخرة .
وقيل : وما هذه النار التي هي سقر الا موعظة للمخلق .
ومال القرطبي الى ان المراد : الدلائل والحجج والقرآن ذكرى للناس .

من سورة القيامة

وَجْوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾

ينضير الله تعالى وجوه المتقين يوم القيامة (٠٠) ولقاهم نضرة (وسرورا) (١) (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) (٢) (وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية) (٣) (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور) الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب (٤) (فالبشر باد على وجوههم ، والرضا ملء قلوبهم) .

إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾

ترى ربنا العلي الأعلى .
وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة .

فعن ابي سعيد وأبي هريرة أن ناسا قالوا : يا رسول الله ! هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : « هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب » ؟ قالوا : لا . قال : « إنكم ترون ربكم كذلك » رواه الشيخان .
وفي رواية لهما : « هل تمارون » ؟ .

وفي الصحيحين كذلك عن جرير قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القمر ليلة البدر فقال : « إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر فإن استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا » .

١ - سورة الانسان ٠ من الآية ١١ ٠ ٢ - سورة المطففين ٠ الآية ٢٤ .
٣ - سورة الغاشية ٠ الايتان ٨ ، ٩ ٠ ٤ - سورة فاطر ٠ الايتان ٣٤ ، ٣٥ .

وللبخاري في صحيحه : « إنكم سترون ربكم عيانا » . إلى كثير من الصحاح .

يقول الحافظ ابن كثير : وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة ، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام ، وهداة الأئام ، ومن تأول ذلك [بالى] مفرد الآلاء وهي النعم . . فقد أبعد النجعة ، وأبطل فيما ذهب اليه ، واين هو من قوله تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) (١) .

قال الشافعي رحمه الله تعالى : ما حجب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه عز وجل ، ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما دل عليه سياق الآية الكريمة ، وهي قوله تعالى : (إلى ربها ناظرة) (١٠) هـ

من سورة الانسان

وَجَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾

جزي الله المؤمنين الموحدين لقاء صبرهم مساكن طيبة في جنات عدن ، وكساهم فيها الحلل البهية والأردية الحريرية .

ومن هنا يتبين العقلاء منزلة الصبر وأجر الصابرين ، كيف لا وقد بشرهم الحق جل علاه بفيض فضله : (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) (٣) . والبشرى للصابرين على طاعة الله ، والصابرين عن معصية الله يحبسون انفسهم ان تلم بالسيئات - وللصابرين على ما يقضي به الله ، والصابرين عند لقاء اعداء الله ، كما اشار كتاب الله : (. . والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) (٣) .

روى الحافظ ابن عساكر . . ان سليمان الداراني قرئت عليه سورة (هل اتى على الإنسان) فلما بلغ القارئ الى قوله تعالى : (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) قال : بما صبروا على ترك الشهوات في الدنيا ، ثم أنشد يقول :

كم قتيل لشهوة واسير	أف من مشتتهى خلاف الجميل
شهوات الانسان تورثه الذل	وتلقيه في البلاء الطويل

١ - سورة المطففين . الآية ١٥ . ٢ - سورة البقرة . الآية ١٥٧ .

٣ - سورة البقرة . من الآية ١٧٧ . والبأساء : المصيبة في الإبدان ، والضراء : المصيبة في الأموال . والبأس : الحرب .

وقد ذكرنا ما رواه الشيخان - البخاري ومسلم - عن حذيفة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في أنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحنها ، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة » .

مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَآئِكِ

أهل الجنة في مجالسهم مرفهون ، فمقاعدهم سرر فوقها حجال ، فرش وحشايا ، يستلقون عليها أو يتمرققون - يعتمدون على مرافقهم - أو يتربعون .

لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا ﴿١٣﴾

لا يجدون في الجنة قيظا لافحا ، ولا بردا مؤلما (١) .
قال قتادة : يعلم الله أن شدة الحر تؤذي ، وشدة البر تؤذي ، فوَقَاهُم الله أُنَاهُمَا . اهـ .

وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا

تدنو وتقرب أغصان الجنة من أهل الصبر والتقوى ؛ والشجر الذي يملأ بساكناتهم هناك تميل عليهم فروعها ، ويمتد فوقهم ظله ، مع ما يحمل من صنوف الفاكهة الوفيرة الدائمة : (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) (٢) ونصب (دانية) : إما لعطفها على (متكئين) ، وإما للعطف على موضع قوله تعالى : (لا يرون فيها شمسا) .

وَذَلَّلَتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا ﴿١٤﴾

سخرت ثمارها وقربت ، وجردت مما يخالط الثمار عادة من نحوشوك أو ورق ، يقول الله عز شأنه : (وجنى الجنتين دان) (٣) .
ونقل عن الماوردي : ويحتمل ان يكون تذليل قطوفها : أن تبرز لهم من أكمامها ، وتخلص لهم من نواها .

١ - أورد القرطبي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « ان هواء الجنة سجيح :

لا حر ولا برد » .

٢ - سورة الواقعة . الايتان : ٣٢ ، ٣٣ .

٣ - سورة الرحمن . من الآية ٥٤ .

وعن مجاهد : إن قام أحد ارتفعت له ، وإن جلس تدلت عليه ، وإن اضطجع دنت منه فأكل منها . ويقال : المذل : المسوى .

وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِغَانِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ

بعد ان وصف القرآن مقامهم وكساءهم ، وتفكههم وغذاءهم ، بيّن شربهم ، وأن خدمهم يطوفون ويدورون عليهم كلما اشتهوا شربا .

جاء في [الجامع لاحكام القرآن] : قال ابن عباس : ليس في الدنيا شيء مما في الجنة الا الأسماء ، أي ما في الجنة أشرف وأعلى وأنقى . ثم لم تنف الاواني الذهبية ، بل المعنى : يسقون في أواني الفضة ، وقد يسقون في أواني الذهب . . اهـ .

مما روى البخاري ومسلم عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما . . » .

وَأَمْكَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾

وكيزان لا أذان لها ولا عرى ، صافية صفاء القوارير الزجاجية ، شفافا تصف محتواها ، ويرى ما في باطنها من ظاهرها .

قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ

يقول ابن عباس : ليس في الجنة شيء إلا اعطيتم في الدنيا شبهه إلا القوارير من فضة . وقال : لو أخذت فضة من فضة الدنيا فضربت بها حتى تجعلها مثل جناح الذباب لم تر من ورائها الماء ، ولكن قوارير الجنة مثل الفضة [أي في بياضها] في صفاء القوارير .

فَدَرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾

أعدت على قدر رغبتهم ، عناية بتكريمهم وتشريفهم ، والسقااة يطوفون بها عليهم غير مترعة فتراق ، ولا ناقصة بل ملأى .

وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَمْجِيلاً ﴿١٧﴾

ويشرب الأبرار خمر الجنة ممزوجا بالزنجبيل متى شاءوا ٠ (كان)
ليست للدلالة على المضي ولكن ربما تعني : صار وتكون ٠

نقل الحافظ ابن كثير عن قتادة وغيره : (كان مزاجها زنجيلا)
فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد، وتارة بالزنجبيل وهو حار ٠ اهـ

عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾

نصب (عينا) بنزع الخافض ، أي كأسا من عين في الجنة توصف
بالسلسلة والعذوبة ٠

يقول أبو جعفر محمد بن جرير : ٠٠ قوله : (تسمى سلسبيلا) صفة
للعين ، وصف بالسلسلة في الحلق وفي حال الجري ٠٠ كما قال مجاهد
وقتادة ، وانما عنى بقوله : (تسمى) توصف ، وانما قلت : ذلك أولى
بالصواب ، لاجتماع أهل التأويل على ان قوله : (سلسبيلا) صفة لاسم ٠ اهـ

وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ

خدم الأبرار المقربين من الولدان الباقيين على شبابهم وغضاضتهم
وحسنهم ، لا يهرمون ولا يتغيرون ٠

إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾

ينبث هؤلاء الشباب ويتفرقون في جنات دار النعيم ذاهبين آيين
في خفة وبهاء ، تحسبهم من حسنهم وصفاء ألوانهم لؤلؤا مفرقا فيما
حولك من أرجاء ٠

أورد القرطبي : واللؤلؤ اذا نثر كان أحسن منه منظوما ٠ وقيل :
إنما شبههم بالمنثور لأنهم سراع في الخدمة ، بخلاف الحور العين إذ
شبههن باللؤلؤ المكنون المخزون لأنهن لا يمتهن بالخدمة ٠ اهـ ٠

وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾

وحين تقلب بصرك في الجنة ترى هناك صنوف النعيم مما لا عين
رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وترى الملك العظيم الذي

أوتوه : فالملائكة تسلم عليهم ، والله هناك مملكة عظيمة ورزق بغير حساب .

ثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا إليها : « ٠٠ إن لكم مثل الدنيا وعشرة أمثالها ٠٠ » (١)

عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ

كسوة أهل الجنة من السندس - النسخ الحريري الدقيق - ذي اللون الاخضر ، وربما يكون هذا لثيابهم [الداخلية] الملائقة لأجسادهم ، ومن الإستبرق وهو الحريري اللامع البراق السميك ، لعله يكون ظاهر ثيابهم .

وَحُلُوءٌ أَسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ

يحلّيه ربهم بأساور فضية ، وذلك لا يمنع تحليتهم بالأساور الذهبية وغيرها ، وهذا كتاب الله ينطق بالحق : (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) (٢) (جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) (٣) .

وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾

ويسقى الله المؤمنين في الجنة شرابا طيبا مباركا ممتعا للابدان والعقول

وذهب ابن كثير الى ان القرآن لما ذكر زينة الظاهر بالحرير والحلي قال بعده : (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) اي طهر بواطنهم من الحسد والحقد ، والفل والأذى ، وسائر الاخلاق الرديئة ٠٠ فأخبر سبحانه بحالهم الظاهر وجمالهم الباطن . اهـ .

ونقل صاحب جامع البيان عن ابي قلابة : أن أهل الجنة اذا أكلوا وشربوا ما شاءوا دعوا بالشراب الطهور فيشربون فتطهر بذلك بطونهم ، ويكون ما أكلوا وشربوا رشحا وزيح مسك ٠٠ اهـ .

٢ - رواه الشيخان ، عن عبد الله بن مسعود ٠ ٣ - سورة الحج ٠ الآية ٢٣ .

٤ - سورة فاطر ٠ الآية ٣٣ .

في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان اهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ، ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون » قالوا : فما بال الطعام ؟ قال : « جشاء ورشح كرشح المسك .. » .

إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً

وتنعم أرواح المؤمنين فوق ما نعموا ، فينادون ان هذا الذي اعطيتموه هو ثوابكم على ما كنتم تعملون من الخير في الدنيا (٠٠ ونودوا أن تلکم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) (١) (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية) (٢) .

وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾

حمد الله تعالى حسن صنيعكم ، وتجاوز عن زلاتكم (٠٠ وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما) (٣) ومن فضله عز شأنه انه يتقبل القليل ويعطينا عليه الأجر الجميل والثواب الجزيل (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله ٠٠) (٤) .
فاللهم تقبل عنا أحسن ما عملنا .

(١) - سورة الاعراف . من الآية ٤٣ .
٢ - سورة النساء . من الآية ٤٠ .
٣ - سورة الشورى . من الآية ٢٦ .
٤ - سورة الحاقة . الآية ٢٤ .

ما تضمنه الفصل الرابع من أحاديث

رقم
الصحيفة

- أ - مما في الصحيحين :
- ٥٧ حديث : لا يسمع بي أحد . . يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي . .
- ٥٩ حديث : لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم .
- ٦٧ حديث : . . كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف . .
- حديث : . . فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة .
- ٦٨ حديث : إذا التقى المسلمان سيفيهما فالقاتل والمقتول في النار . .
- حديث : إذا سألت الله فاسأله الفردوس فإنه أوسط الجنة . .
- ٧١ حديث : يأهل الجنة خلود فلا موت ، ويأهل النار خلود فلا موت . . .
- ٧٦ هـ حديث : إن في الجنة ثمانية أبواب . .
- ٧٩ حديث : لا تلبسوا الحرير والديباغ ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة . .
- ٨٢ حديث : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب . .
- حديث : إن أهل الجنة ليتراءون الفرق في الجنة كما تراءون الكوكب في السماء .
- ٨٥ حديث : . . ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا . .
- حديث : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . .
- ٩١ حديث : . . إنكم ترون ربكم كذلك .
- حديث : إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر . .
- ٩٢ حديث : إنكم سترون ربكم عيانا .
- ٩٤ حديث : جنتان من ذهب آتيتهما وما فيها . .
- ٩٦ حديث : . . إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها .
- ٩٧ حديث : إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون . .
- ب - مما في غير الصحيحين :
- ٥٦ هـ حديث سلمان : كانوا يصلون . . ويشهدون أنك ستبعث نبيا . .
- ٥٩ هـ حديث : إذا زنت أمه أحدكم فليجلدها الحد ولا يثرب .
- حديث : لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده . .
- ٦٢ هـ إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير . . فإذا أوصى وحاف في وصيته . .
- ٦٦ هـ حديث : إن أحبيكم إلى . .
- حديث : أما تعدون الشهيد فيكم ؟ . .
- ٦٧ هـ حديث : . . رب زد أمتي فزلت : (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) . .
- ٧٠ هـ حديث : هل تدرون من يدخل الجنة من خلق الله ؟ . .
- حديث : كان يأتي الشهداء . . يقول : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار . .
- ٧١ هـ حديث : إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ . .
- ٧٦ هـ حديث : من أنفق زوجين من ماله . . دعى من أبواب الجنة .
- ٨١ هـ حديث : السابقون : الذين إذا أعطوا الحق قبلوه . . وحكوا للناس كحكمهم لأنفسهم .
- ٩٣ هـ حديث : إن هواء الجنة سحسح لا حر ولا برد .

خاتمة

في الإيمان بالصراط والشفاعة

ورد ذكر [صراط] في القرآن الكريم في ست وأربعين آية (١) ، لكن جمهور المفسرين من السلف والخلف لم يروا في أي منها ما يقطع بالدلالة على الصراط الذي ينصب في الآخرة يجتازه أهل الموقف في طريقهم إلى مداخل الجنة وابوابها ، وربما يشير إليه قول الله تعالى : (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا • ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) (٢) وقوله سبحانه • (وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون) (٣) عند من تأوله على أنه صراط الآخرة •

لكن صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرق متعددة إثبات هذا الجسر الذي يعبره الناس بعد حسابهم بغية الوصول إلى دار الخلد والكرامة •

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا ومنه : « • • • » ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز (٤) من الرسل بأتمته • • • »

ومما في الصحيحين كذلك عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « • • • » ثم يضرب الجسر على جهنم ، وتحل الشفاعة ، ويقولون : اللهم سلم سلم • قيل : يا رسول الله : وما الجسر؟ قال : « دحض (٥) مزنة (٦) فيها خطاطيف (٧) وكلايب وحسكة (٨) مفلطحة (٩) لها شوك عقيفاء (١٠) تكون بنجد يقال لها السعدان • المؤمن

١ - ثنتان في كل من الفاتحة والبقرة وال عمران والنساء وآية في المائدة ، وخمس في الانعام ، وايتان في الاعراف وآية في كل من يونس وهود وابراهيم والحجر ، وايتان في النحل ، وايتان في مريم ، وآية في طه ، وايتان في كل من الحج والمؤمنون ، وآية في كل من النور وسبأ ، وثلاث في يس وثنتان في الصافات وآية في ص وايتان في الشورى وثلاث في الزخرف وايتان في الفتح وآية في الملك •

٢ - سورة مريم • الايتان : (٧١) ، (٧٢) • ٣ - سورة المؤمنون ، الآية ٧٤ •

٤ - يجوز : يعبر ويجتاز ويمر • ٥ - زلق • وروى : مدحضة • ٦ - تزل فيها الاقدام

٧ - خطاطيف : جمع خطاف • حديدة معوجة كالكلوب يختطف بها الشيء •

٨ - نبات مغروس ذو شوك ينشبك في كل من يمر به •

٩ - فيها عرض واتساع ، واسعة الاعلى دقيقة الاسفل •

١٠ - عقيفاء : معوجة ، والسعدان : نبات له ثمر يلزق بأصواف الغنم •

عليها كالطرف (١) وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل (٢) والركاب (٣) ،
فناج مُسَلَّم ، وناج مخدوش (٤) ، ومكدوس في نار جهنم (٥) ٠٠ » ٠

ومادة شفع وما تصرف منها ذكرت في خمس وعشرين آية ، منها
خمس تصلح للاستشهاد بها : (٠٠ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه (٦٠٠))
(يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا) (٧) (ولا
يشفعون إلا لمن ارتضى) (٠٠) (٨) (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن
له (٠٠) (٩) (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد
بالحق (٠٠) (١٠) ٠

وكذا قوله تعالى : (٠٠ عسى أن يبيعتك ربك مقاما محمودا) (١١)
حيث ذهب صاحب الجامع لأحكام القرآن إلى أن أصح الأقوال في المقام
المحمود : الشفاعة للناس يوم القيامة ، قاله حذيفة بن اليمان ٠
واحاديث الشفاعة متوافرة متضاربة كثير منها متفق عليه ، وصحاح
آخر أوردها غير الشيخين البخاري ومسلم ٠

وفي هذه الصحاح تصريح بعفو من الله تعالى وفضل أورده بعض
الاحاديث بلفظ « شفاعتي » . وفيها تبيان لشفاعة النبيين - وأعظمها لحمد
خاتم المرسلين عليه وعليهم صلوات من الله وتسليم . وشفاعة للملائكة
وشفاعة للمؤمنين ٠

ونعرض لبعض القول النبوي الصحيح في امر الشفاعة :
ففي عفو ربنا الغفور الشكور جاء في حديث أبي هريرة عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « ٠٠ حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل
النار امر الله الملائكة أن يُخرجوا من كان يعبد الله ، فيخرجونهم ،
ويعرفونهم بآثار السجود ، وحَرَّمَ الله على النار أن تأكل أثر السجود ٠٠ »
رواه البخاري ومسلم ٠

وحديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا أو سبعمائة ألف » [لا يدري الراوي

-
- ١ - كالطرف : كلمح البصر ٤ - الفرس السابق الجيديسمى جوادا واجاويد جمع الجمع
٢ - الركاب : الإبل ٤ - ناج من النار بعد أن جرحه القيد ٥ - مصروع ومترد
٦ - سورة البقرة ٠ من الآية ٢٤٥ ٧ - سورة طه ٠ الآية ١٠٩
٨ - سورة الانبياء ٠ من الآية ٢٨ ٩ - سورة سبأ ٠ من الآية ٢٣
١٠ - سورة الزخرف ٠ من الآية ٨٦ ١١ - سورة الاسراء ٠ من الآية ٧٩

أيهما قال [« متماسكون أخذ بعضهم بعضاً ، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر » .

وفي حديث أبي سعيد الخدري : « فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبار : بقيت شفاعتي ، فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواماً قد امتحشوا (١) ، فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة ، فينبثون في حافتيه كما تنبت الحبة في حميل السيل (٢) قد رأيتوها إلى جانب الصخرة إلى جانب الشجرة ، فما كان إلى الشمس منها كان أخضر ، وما كان منها إلى الظل كان أبيض . فيخرجون كأنهم اللؤلؤ ، فيجعل في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة ، فيقول أهل الجنة : هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ، ولا خير قدموه ، فيقال لهم : لكم ما رأيتم ومثله معه » رواه الشيخان .

ومسلم عن أبي سعيد بلفظ : « . . فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار (٣) فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط ، قد عادوا حمماً (٤) »

وهكذا شهدت الأحاديث التي أوردت بشفاعة وعفو المهيمن البر الرحيم ، وبشفاعة الملائكة والنبيين . وجمهور السلف والخلف على أن الشفاعة العامة اختص الله تعالى بها محمداً خاتم المرسلين ، والخاصة لإخراج المذنبين من النار يشفع فيها الأنبياء والعلماء والشهداء والمؤمنون .

روى البخاري ومسلم عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا ! فيأتون آدم فيقولون : انت الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، فاشفع لنا عند ربنا فيقول : لست هناك (٥) . ويذكر خطيئته ، ويقول : انتوا نوحاً ، أول رسول بعثه الله . فيأتونه ، فيقول : لست هناك ، ويذكر خطيئته ، انتوا إبراهيم الذي اتخذ الله خليلاً ، فيأتونه فيقول لست هناك ، ويذكر خطيئته ، انتوا موسى الذي كلمه الله ، فيأتونه فيقول : لست هناك ، فيذكر خطيئته ، انتوا عيسى ، فيأتونه فيقول : لست هناك ، انتوا محمداً صلى الله عليه وسلم فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . فيأتوني ، فأستأذن

٢ - ما يحمله السيل من طين ونحوه .

١ - امتحشوا : احترقوا .

٤ - حمماً : فحماً ، محترقين .

٣ - يعني من أهل النار .

٥ - لست في المكان والمنزل الذي تحسبونني ، يريد به مقام الشفاعة .

على ربي ، فاذا رأيته وقعت ساجدا ، فيدعني ما شاء الله ، ثم يقال : ارفع رأسك ، سل تعطه ، وقل يسمع ، واشفع تشفع • فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني ، ثم اشفع فيحد لي حدا ، ثم اخرجهم من النار وادخلهم الجنة ، ثم أعود فأقع ساجدا مثله في الثالثة والرابعة حتى ما يبقى في النار الا من حبسه القرآن •

ومما جاء في رواية ثانية : « •• فأقول : يا رب ! امتي امتي ! فيقال : انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان ، فانطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ••• فيقال : انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان ، فانطلق فأفعل ، ثم أعود ••• فيقال : انطلق فأخرج من كان في قلبه ادنى ادنى مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار ، فانطلق فأفعل • ثم أعود الرابعة •• فأقول يا رب ! ائذن لي فيمن قال لا إله الا الله ، فيقول : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لاخرجن منها من قال لا إله الا الله » (١) •

ولهما من حديث أبي هريرة : « يجمع الناس الاولين والآخرين في صعيد واحد ، يسمعون الداعي ، وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ••• فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى انت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمته القاها الى مريم وروح منه ، وكلمت الناس في المهد صبيا ، اشفع لنا الا ترى الى ما نحن فيه ؟ فيقول عيسى : ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنبا ، نفسي ! نفسي ! انفسوا ! اذهبوا الى غيري ، اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم ••• فأقول : « أمتي يا رب ! امتي يا رب ! فيقال يا محمد ! ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب » ثم قال : « والذي نفسي بيده ان ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وجمير (٢) ، او كما بين مكة وبصرى » •

وللشيخين عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كل نبي سأل سؤالا » او قال : « لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيب ، فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » •
وروى البخاري عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه

١ - متفق عليه • اللؤلؤ والمرجان • حديث رقم ١١٩ • الجزء الاول •

٢ - حمير : صنعاء • لانها كانت حاضرة قبيلة حمير •

وسلم قال : « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا - صلى الله عليه وسلم - الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محدودا الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة » .

وأما عن شفاعة المؤمنين ، فمما جاء في الصحيحين عن ابي سعيد : « ٠٠ فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار . فاذا رأوا أنهم قد نجوا وبقي اخوانهم ، يقولون : ربنا اخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا ، فيقول الله تعالى اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ، ويحرم الله صورهم على النار ، فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار الى قدمه والى أنصاف ساقيه ، فيخرجون من عرفوا ثم يعودون . فيقول اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه ، فيخرجون من عرفوا ثم يعودون . فيقول : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه ، فيخرجون من عرفوا » .

ورواية مسلم : « ٠٠ حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من احد منكم بأشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لآخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون ، فيقال لهم أخرجوا من عرفتم ، فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا ٠٠٠ ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها خيرا ٠٠ » .

وبعد : فمن اراد الوصول الى رضوان الله والدخول في رحمته وجنته فليشهد أن الله حق ، وأن ملائكته حق ، وأن كتبه حق ، وأن رسله حق ، وأن لقاءه حق ، وأن ثوابه حق . وليستقم على أمره في مضاء وعزم مستجيبا لندائه : (ففزعوا الى الله ٠٠) راجيا رحمته متوقيا سخطه وعذابه ، والعاقل من دان نفسه وعمل لما بعد الموت في غير تواكل ولا يأس وغلب الخوف على الرجاء وسر لمولاه بلا تناء (٠٠ ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به ٠٠) .

واليقين في الحساب والجزاء والعقاب اساس لكل هدى وتقى (قل جمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتح العليم) .

والتصديق بما جاءنا عن ربنا ، والاستمسك بإسلامنا منجاة لنا في أولانا وفي آخرتنا (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما) .

ما تضمنته الخاتمة من أحاديث متفق عليها

رقم
الصحيحة

- ٩٩ حديث : .. ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز ..
حديث : .. ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة .
١٠٠ حديث : .. حتى إذا أراد الله رحمة من أراد .. أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله .
حديث : ليدخلن الجنة من أمتي .. أو سبعمائة ألف متماسكون آخذ بعضهم بعضا ..
١٠١ حديث : فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون ..
حديث : .. ومشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين ..
حديث : يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون : لو استشفعينا على ربنا ..
١٠٢ حديث : .. فيقول : وعزتي وجلالي .. لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله .
حديث : .. فيقال : يا محمد ! أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن ..
حديث : لكل نبي دعوة .. فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة .
١٠٣ حديث : من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة .. حلت له شفاعتي ..
حديث : .. فن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه ..

مجلد المحتويات

صفحة	صفحة
٣ المقدمة	٢٧ الحشر .
٤ أقسام الكتاب	٢٨ ما تضمنه الفصل الثاني من آيات
٥ البرزخ	وأحاديث .
٦ ما تضمنه الباب الأول من آيات .	٢٩ يوم الجمع آت لا ريب فيه .
٧ توفي الملائكة للطيبين والظالمين ،	٣٠ الله يحشر المتقين مكرمين .
وهل يستويان في حال الوفاة .	٣١ هول للحشر .
١٠ الحياة البرزخية ، ونعيم القبر	٣٥ الحساب .
وعذابه .	٣٦ ما تضمنه الفصل الثالث من آيات
١٢ ما تضمنه الباب الأول من أحاديث .	وأحاديث .
١٣ القارعة .	٣٧ سؤال الله للرسول ومن أرسلوا إليهم .
١٤ ما تضمنه الباب الثاني من آيات	٣٩ صحائف الأعمال تلزم أعمالها .
وأحاديث .	٤٠ المجرمون يحملون ما أجرموا .
١٥ الله وحده عنده علم الساعة .	٤٢ موطن للسؤال وآخر لا سؤال عنده
١٦ من علامات الساعة خروج دابة	٤٣ الآثمون تشهد عليهم أعضاؤهم .
تكلم الناس .	٤٥ تفسير قول الله تعالى : (وترى كل
١٨ النفخ في الصور .	أمة جاثية ..) .
١٩ ذلك الأرض والجبال .	٤٨ الميزان .
٢٠ تشقق السماء ونهاويها .	٤٩ تفسير قول الله : (انطلقوا إلى
٢١ النشور .	ظل ذي ثلاث شعب ..) .
٢٢ ما تضمنه الفصل الأول من آيات .	٥٠ تبسير حساب الأبرار .
٢٣ الله يبعث الموتى .	٥٣ الجزاء .
٢٤ إعادة الخلق لا تعجز الله .	٥٤ ما تضمنه الفصل الرابع من
	آيات .

صفحة	
٥٥	معنى الآية الكريمة : (إن الذين آمنوا والذين هادوا . .)
٥٧	أصحاب النار وأصحاب الجنة .
٥٨	لعنة الله على الكافرين .
٦٠	تفسير قوله سبحانه : (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله . .)
٦١	نزل أهل التقوى .
٦٢	من هم المخلدون في النار ؟
٦٣	معنى قول الله : (. . بدلناهم جلودا غيرها . .)
٦٤	جزاء الصالحين .
٦٦	مرافقة الأنبياء والشهداء .
٦٧	تفسير قول الله عز شأنه : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها . .)
٦٨	جنات عدن للمؤمنين وأهلهم .
٧٠	الملائكة يسلمون على الصالحين .
٧١	تفسير الآية الكريمة (وأنذرهم يوم الحسرة . .)
٧٢	معنى قوله سبحانه : (فالذين كفروا وقطعت لهم ثياب من نار . .)
٧٣	كيف يساق الكافرون إلى جهنم ؟
٧٤	سوق المهتدين إلى الجنة .
٧٧	استغاثة المعذنين بخزنه.. جهنم .
٧٨	الفائزون وأزواجهم صحافهم ذهبية .
٧٩	جزاء الظالمين الخلود في النار .
٨١	السابقون إلى الطاعات سابقون في الدرجات .
٨٤	الحدود العينية ، وصفتهن .
٨٥	إصلاح النفس والأهل منجاة من النار .
٨٧	وصف سقر .
٨٨	أصحاب النار وعددهم .
٩١	تفسير الآية الكريمة : (إلى ربها ناظرة) .
٩٢	الصابرون يكسون من حرير الجنة .
٩٣	ليس في الجنة حر ولا قر .
٩٤	الأكواب والكنوس وصفاتها .
٩٥	خدم الأبرار يافعون كالثور المنتور .
٩٦	كساء المتقين وحلبهم وشراهم .
٩٨	ما تضمنه الفصل الرابع من أحاديث .
٩٩	أحاديث الصراط .
١٠٠	شفاعة الله والملائكة والنبين وخاتم المرسلين .
١٠٣	شفاعة المؤمنين .
١٠٤	ما تضمنته الخاتمة من أحاديث .